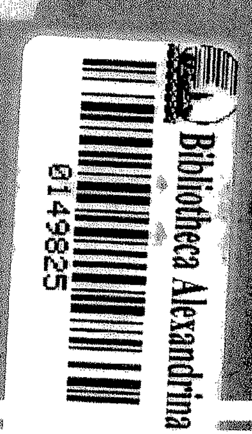
محمد سيد كيلانى

أثر التشيع في الأدب العربي



دار العرب
للبستاني



أثر التّشيّع في الأدب العربي

بقلم

محمد سيد كيلاني

الطبعة الثانية

١٩٩٥ ـ ١٩٩٦

دار العرب للبستاني

٢٨ شارع الفجالة - ١١٢٧١- القاهرة

ت: ٥٩١٥٣١٥ - ٩٠٨٠٢٥

فاكس: ٧٧١١٤٠-٢٠٢



المصـــــادر

الملل والنحل — الشهرستانى

الفرق بين الفرق — عبد القادر البغدادى

الإمامة والسياسة — ابن قتيبة

الأغانى — الأصبهانى

أعيان الشيعة — الحسينى العاملى

الفتوحات المكية — ابن عربى

يتيمة الدهر — الثعالبى

المنهج الحنيف — أحد رجال الطرق الصوفية

معجم الأدباء — ياقوت

نهج البلاغة — شرح ابن أبى الحديد

نهج البلاغة — شرح محمد عبده

نهج البلاغة — شرح ميرزا حبيب الله

تاريخ الأمم والملوك — الطبرى

الأمالى — الشريف المرتضى

الأمالى — أبو على القالى

العقد الفريد — ابن عبد ربه

السيرة — ابن هشام

مناقب آل أبى طالب — السروى المازندرانى

الهاشميات — الكميت

طبقات الشعراء — محمد بن سلام الجمحى

وفيات الأعيان — ابن خلكان

فوات الوفيات — محمد بن شاكر

البيان والتبيين — الجاحظ

العمدة — ابن رشيق

الفهرست — ابن النديم

الملل والنحل — ابن حزم

الأوراق — الصولى

ديوان كثير

ديوان ابن الرومى

ديوان الشريف الرضى

ديوان مهيار الديلمى

ديوان ابن هانئ الأندلسى

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية لكتاب « أثر التشيع فى الأدب العربى » ، والتشيع مذهبٌ سياسىٌ ودينىٌ فى نفس الوقت ، لأنه يتناول أصلاً من أصول الحكم ، ويسجل الخلافات الدينية بين الأحزاب فى ذلك الوقت . ومازالت هذه الخلافات موضع مناقشات ومساجلات بين هذه الأطراف . ولا يخفى أن الذى أضعف المسلمين فى الماضى والحاضر هو كثرة المنازعات الداخلية بينهم . ومن الخير لهم أن يتجاهلوا خلافات الماضى ، فالماضى لا يعود . وقد تطورت الدنيا وتغيرت . فخير لهم أن يعودوا إلى طبيعة الدين الإسلامى السمحة . فالمسلم أخو المسلم والدين الإسلامى ينهى عن التفرق ويدعو إلى الوحدة والتضامن . وهذا يجعل المسلمين إخوة لا فرق بين هذا وذاك إلا بالتقوى .

والله يغفر لمن يشاء ويرحم الجميع من الناطقين بالشهادتين : ـ
شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله .

وكتاب أثر التشيع يدعو إلى المحبة والوفاء بين الناس أجمعين . وقد استفاد خصوم العرب من التفرق والتنازع بين أبناء الدين الواحد ، وهذا ما نهى عنه الإسلام .

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ والإخوة يجب أن يتصافحوا وتصفو القلوب بينهم ، ويعملوا على خير المجتمع .

والله الموفق .

القاهرة فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٤ — محمد سيد كيلانى

مقدمة

الطبعة الأولى

هذا بحث فيما أحدثه التشيع من أثر فى الأدب العربى ، بدأته منذ قيام على بن أبى طالب بحركته ، وانقسام المسلمين إلى حزبين كبيرين : حزب يتشيع لعلى ، وحزب يقف وراء معاوية ، ثم حزب ثالث لا يرضى عن هؤلاء ولا عن أولئك ، وهو حزب الخوارج .

وقد رتبته على أربعة أبواب ، وخصصت أول فصل من الباب الأول للكلام على الخلافة ؛ وأتيت فى الفصل الثانى بنبذة عن أشهر فرق الشيعة العلوية ومعتقداتها ، ليسهل بذلك على القارىء فهم ما جاء فى الشعر الشيعى من مذاهب وآراء ، كالقول بالرجعة وعصمة الأئمة والمهدى المنتظر وغير ذلك من العقائد التى أوردها شعراء تلك الطائفة فى كثير من شعرهم .

وكان العلويون والأمويون والخوارج يتراشقون بالكلام ، كما كانوا يتطاحنون بالسيوف والسهام ، فأخذ الخطباء والشعراء والكتاب يدافع كل منهم عن الحزب الذى ينتمى إليه ، ويذود عنه ، ويرد على مطاعن أعدائه ويحرض على الكفاح والجهاد . فترى فى الفصل الأول من الباب الثانى أثر التشيع واضحا إلى أبعد حد فى دولة النثر : فى الخطابة ، والرسائل ، والحديث ، والقصص ، وانتحال القول . وفى الفصل الثانى من هذا الباب تكلمت على أشهر خطباء الشيعة مع دراسة تحليلية لكتاب نهج البلاغة .

وتناولت فى الفصل الأول من الباب الثالث الكلام على مظاهر انتحال الشعر عند الشيعة . وخصصت الفصل الثانى للحديث عن أغراض الشعر عند هؤلاء القوم . فمن مدح لآل البيت بدأ ساذجاً بسيطا لا أثر للتكلف فيه ، ثم أخذ يتدرج فى الغلو شيئا فشيئا حتى جاء ابن هانئ الأندلسى فظهر فى شعره نوع من المديح لاعهد للمسلمين به من قبل . إلى رثاء حار منبعث من أعماق القلوب . فقد حدث أن قتل على ثم قتل ابنه الحسين من بعده على صورة مؤلمة . ثم تتبع الأمويون والعباسيون من بعدهم العلويين ، فنكلوا بهم أشنع تنكيل ، ومثلوا بهم أفظع تمثيل ، فحرك ذلك عواطف كثير من الشعراء ، فأنشئوا قصائد قوية فيها لوعة وأسى ، وحزن عميق وألم شديد ، إلى غير ذلك من الأغراض التى تناولها شعراء الشيعة وهى مفصلة كما تراها فى موضعها من هذا الكتاب .

وأتيت فى الباب الرابع بتراجم مختصرة لعشرة من شعراء الشيعة ، بدأتهم بالكميت ، وختمتهم بابن هانئ الأندلسى ، وبهذا ينتهى الكتاب.

القاهرة فى أول مايو سنة ١٩٤٧ — محمد سيد كيلانى


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

الفصل الأول

مشكلة الخلافة

(١) القدماء والتاريخ

اعتاد بعض قُدامى المؤرخين أن يسلكوا فى كتابة تاريخ الصحابة مسلكا عجيبا ، فتراهم يطمسون بعض الحقائق طمسا غريبا ، ويضللون الناس تضليلا كبيرا بإغراقهم فى المدح والثناء على هؤلاء الرجال بحق وبغير حق حتى يتوهم القراء أن الصحابة أشخاص مقدسون لايجوز عليهم الخطأ ؛ يفعلون ذلك ظانين أن كتابتهم التى يكتبونها على هذا النحو تقربهم من الله زلفى ، وتضمن لهم الجنة ... ولاريب فى أنهم مخطئون ، ولا عجب أن كانت كتابتهم خِلوا من الروح العلمى الصحيح ، لافائدة منها ولا خير فيها ، تقرؤها فتشعر بأنك تطالع قطعة من المديح ، لا أكثر ولا أقل ؛ فتمحيص الحقائق التاريخية ، وتحليل أعمال الأشخاص ، ووضع الأمور فى نصابها ، والنظر إلى الموضوع فى نزاهة وإخلاص ، وتحرى الصدق والتجرد من الأهواء ، وتحكيم العقول بدلا من الميل مع العواطف ، كل هذا من الأمور التى لم يعرف القدماء إليها سبيلا ، اللهم إلا المعتزلة الذين كانوا مطبوعين على الجرأة والصراحة .

وفى هذه الأيام نجد كثيرين يسلكون مسلك القدماء فيما يكتبون : يرددون ما خطته أقلام أسلافهم من غير بحث ولا تحقيق . وإن أنت حاولت أن تتبع طريق العلماء الباحثين ، وتحكم عقلك فيما لم يعتادوا تحكيم عقولهم فيه ، رموك بالكفر ، واتهموك بالإلحاد ، وانهالوا عليك بالشتائم والسباب . . .

وسواء رضى هؤلاء أو غضبوا ، فإنى أوثر أن أنهج نهج العلماء المحققين الذين يضعون الحقيقة فوق كل اعتبار .

(٢) لمن الخلافة ؟

ماكاد النبي يلفظ النفس الأخير حتى تحركت أطماع [١] بعض الصحابة فى منصب الخلافة ، وأظهر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء ، وتكشفت النفوس عما كانت تنطوى عليه من أمور كانت مستورة مدة حياة النبي ، وظهرت بعد ساعات قليلة من وفاته .

لقد اجتمع الأنصار عقب وفاة الرسول إلى سيدهم سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة وبايعوه خليفة . وماكاد أبوبكر وعمر وأبو عبيدة يسمعون بهذا النبأ حتى أسرعوا إلى مكان اجتماعهم ، ودار بينهم وبين الأنصار جدال شديد ونقاش عنيف ؛ فالأنصار يقولون إنهم نصروا النبي وآووه ، وساعدوه وآزروه ، وكافحوا من أجله ومن أجل الدين كفاحا شديدا ، وعلى ذلك يجب أن يظفروا بهذا المنصب جزاء وفاقا لهم

(١) ذكر ابن قتيبة أن أبابكر قال : والله إنى لشديد الوجع ، ولما ألقى منكم يا معشر المهاجرين أسد على من وجعى . إنى وليت أمركم ولست خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم أنفه إرادة أن يكون هذا الأمر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد أقبلت .

على ما بذلوا من جهود . ووقف أبو بكر وعمر يردان على الأنصار الحجة بالحجة ويدفعان البرهان بالبرهان ، ويذودان عن حق المهاجرين فى الخلافة ؛ فالمهاجرون وهم الذين احتملوا الاضطهاد والعذاب ، وصبروا وصابروا وضحوا بأنفسهم وأرواحهم فى سبيل الدين ؛ وهم يفضلون الأنصار — كما يزعم أبو بكر — بأسبقيتهم إلى دخول الإسلام .

قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال عمر : هيهات [(١)] لا يجمع سيفان فى غمد واحد : والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاينبغى أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم ، وأولى الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين . من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل ، أو متجانف لإثم أو متورط فى هلكة .

فأنت ترى أن عمر فى كلامه هذا كان أول من أحيا العصبية الجاهلية فى نفوس المسلمين . وترى كذلك أن عمر خول نفسه الحق فى الكلام عن العرب بأجمعهم حين يخاطب الأنصار بقوله : « والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم » وأمر ثالث تلحظه فى كلام عمر وهو أنه جعل النبي ملكا له سلطان وله ميراث ، وجعل لأبى بكر الحق فى حيازة هذا السلطان ، وفى الاستيلاء على هذا الميراث .

ولما كان الأنصار من قبيلتى الأوس والخزرج ، وكان بين هاتين القبيلتين عداوة شديدة ، وحروب طاحنة فى العصر الجاهلى ، خشيت إحداهما بأس الأخرى إذا خلص لها الأمر ؛ وعلى هذا وافقت

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص١٢ طبع مصر مطبعة النيل ١٩٠٤

الأوس على مبايعة أبي بكر وتبعتها الخزرج، عدا سيدها سعد بن عبادة الذي أهان أبا بكر إهانة شديدة، بل أهان المهاجرين جميعا. وأبى أن يبايع أبا بكر واعتزل المسلمين، ورحل إلى الشام في أيام عمر ومات هناك.

وبعد أن تمت البيعة لأبي بكر من الأنصار دخل المسجد فرأى قوما آخرين لا تقل أطماعهم عن أطماع الأنصار. رأى بني أمية مجتمعين حول عثمان، وبني زُهرة مع عبد الرحمن بن عوف، وبني هاشم مع علي بن أبي طالب، فقال عمر وقد عرف كل ما يجول بخاطر كل منهم: مالكم مجتمعين حلقاً شتى، قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايعته وبايعه الأنصار. فقام عثمان ومن معه فبايعوه، وقام عبد الرحمن بن عوف ومن معه فبايعوه أيضا.

وأما علي والعباس ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا إلى بيوتهم ومعهم الزبير بن العوام، فذهب إليهم عمر في عصابة، فقال انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا، وخرج الزبير بن العوام بالسيف فقال عمر «عليكم الرجل فخذوه»، فوثب عليه واحد من العصابة فأخذ السيف من يده وضرب به الجدار، وأخذوه وانطلقوا به، وأرغموه على المبايعة. وذهب بنو هاشم فبايعوا وأخذوا عليا ليبايع فقال «أنا أحق[1] بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة، وسلموكم الإمارة؟ فأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص١٨ طبع مصر ١٩٠٤ مطبعة النيل.

الأنصار، فنحن أولى برسول الله حيا وميتا. فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون». فقال عمر «لست متروكا حتى تبايع» فقال له على «احلب حلبا لك شطره، وشد له اليوم يردده عليك غدا» عنى بذلك ساعده اليوم فى الحصول على الخلافة ليوليك بعده على المسلمين. ثم قال: «والله ياعمر لا أقبل قولك ولا أبايعه». فقال أبو بكر «إن لم تبايع فلا أكرهك». وتكلم أبو عبيدة بن الجراح ونصح عليا بالمبايعة، ولكن عليا قال «الله الله يامعشر المهاجرين، لاتخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم». ثم ما كان منه إلا أن حمل زوجته فاطمة على دابة وأخذ يطوف بها فى مجالس الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون لها: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل.

فما تقدم ترى أن عمر سلك طريقا غير رشيد، فاحتج على الأنصار بأنهم أسبق الناس إلى الإسلام مع أنه ليست هناك أدنى علاقة بين أسبقية المرء إلى الإسلام وبين صلاحيته للحكم. ثم إنه احتج عليهم بقرابة المهاجرين للرسول. ومع ذلك فقد كان واجب العدل يقضى بأن تكون الخلافة لعلى بن أبى طالب ما دامت القرابة اتخذت سنداً لحيازة ميراث الرسول. لقد كان العباس أقرب الناس إلى النبي وكان أحق الناس بالخلافة، ولكنه تنازل بحقه هذا لعلى. فمن هنا صار لعلى الحق وحده فى هذا المنصب. ثم إن عمر هدد بنى هاشم فذهب إليهم فى عصابة، وحمل الزبير وأرغمه على البيعة كما تقدم، وكاد يقتل عليا.

أما على فإنه رفض مبايعة أبى بكر مع أنه رأى الأمة كلها قد بايعت،

فكان واجبا عليه أن ينكر ذاته ، ويسمو بمصلحة الإسلام والمسلمين فوق الاعتبارات الشخصية . ثم كان يجب عليه أن يسلم بالأمر الواقع ويذعن لما أذعن له غيره من المسلمين .

ومما يؤخذ عليه أيضاً أنه حاول أن يثير نيران الحرب بين المسلمين ، فذهب إلى الأنصار حاملا زوجته على دابة كما أسلفنا سائلا إياهم النصر . ترى ، ماذا كانت حالة الإسلام والمسلمين لو استجاب الأنصار لدعوة على وقاموا معه فى وجه أبى بكر ؟ !

(٣) الشيخان

والظاهر أن أبا بكر وعمر قد وضعا هذه الخطة وفكرا فيها قبل وفاة الرسول . ثم نفذاها فيما بعد بدقة وإحكام فكتب لها النجاح والتوفيق . وليس مما يعقل أن يكون قول أبى بكر « نحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ » وليد الساعة . وأنا أرى أن القوم فكروا فى هذا الأمر والرسول لا يزال على قيد الحياة . وربما كان تفكيرهم فيه بعيد غزوة أحد التى تعرض النبى فيها للموت .[1] والشيعة تزعم أن النبى عهد إلى على بالأمر من بعده . وهذا زعم باطل لأن عليا لم يستشهد به على صحة دعواه

وسواء أكان الشيخان أبو بكر وعمر وصلا إلى منصب الخلافة بحق أو بغير حق ، فإنهما من غير شك قد خدما الإسلام خدمة لا تقدر ، بقى أثرها إلى اليوم ، وسيبقى إلى ما شاء الله . فلأبى بكر الفضل فى تثبيت أقدام الدين فى شبه الجزيرة بقضائه على المرتدين ومدعى النبوة .

---

(١) ذكر ابن قتيبة وغيره من المؤرخين أن العباس لقى علياً فقال له «إن النبى يقبض فاسأله إن كان الأمر لنا بينه وإن كان لغيرنا أوصى بنا خيرا » ولكن عليا لم يسأل النبى عن ذلك .

وما كاد ينتهى من ذلك حتى وجه العرب نحو الغزو والفتح ، فترتب على ذلك أن خرج المسلمون مجاهدين فى سبيل الله ففتحوا فارس والشام. ثم مات أبو بكر ؛ واعترافا منه بفضل عمر عليه فى الوصول إلى مقعد الحكم عهد إليه بالخلافة من بعده. والظاهر أن أبا بكر كان قد وعد عمر بهذا فبر بوعده. وفى أيام عمر تم فتح الشام والاستيلاء على مصر وغنم المسلمون غنائم جمة. ولعل من الصواب أن نقول إن عمر كاد يقف بالفتوح عند فارس وبلاد الشام. لقد تردد كثيراً فى فتح مصر. وأخيراً بعد إلحاح شديد من عمرو بن العاص وافق على إرسال جيش صغير واشترط على عمرو أنه سيرسل إليه خطاباً إن وصله وهو خارج الحدود رجع ، وإن وصله وهو داخل الحدود تقدم وطلب العون. ولما كان ابن العاص مخلصاً فى الجهاد فى سبيل الله فقد أخفى رسالة عمر التى وصلته وهو خارج حدود مصر ، ولم يفتحها إلا بعد أن أوغل فى الديار المصرية. ثم ان عمر فعل فعلة سياسية جريئة وهى عزله خالد بن الوليد من قيادة الجيوش العربية فى الشام فى أثناء اشتداد المعركة بين المسلمين والروم. لقد كان هذا العمل جديرا بأن يقضى على وحدة المسلمين ويؤدى إلى انهزامهم الشنيع أمام الأعداء. ولكن خالد بن الوليد أثبت أنه رجل كبير العقل والنفس ، فوضع مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار ، وأخفى نبأ عزله حتى إذا ما تم النصر للمسلمين سلم القيادة إلى أبى عبيدة بن الجراح وقبل أن يعمل تحت إمرته.

ومع كل ما قدمنا فإن هذين الشيخين لا يستحقان تلك المطاعن الكثيرة التى كالها لهما شعراء الشيعة بغير حساب. لقد كانت أيام حكمهما

من أسعد الأيام التى مرت على المسلمين وكان عصرهما من خير عصور الإسلام . فإذا ما ذكرنا اسميهما وجب علينا ان ننحنى إجلالا واحتراما لهما ، فإنهما جديران بكل تقدير . ولكن شعراء الشيعة لم ينظروا إلى المصلحة العامة ، بل نظروا إلى المصلحة الخاصة ، مصلحة على ، فملئوا أشعارهم بالشتائم والسباب ، وألصقوا بهما كثيراً من المثالب والنقائص بل رموهما بالكفر والخروج على الدين . من أمثلة ذلك ما روى أن المهدى جلس يوما لتوزيع الأعطية على من يستحقها من المسلمين ، وكان فى المجلس نفر من آل الخطاب ينتظرون نصيبهم من العطاء ، وبينما القوم جلوس إذ دخل الخادم على المهدى يحمل إليه رسالة فلما فتحها وجد بداخلها قصيدة بعث بها إليه السيد الحميرى جاء فيها :

قُلْ لابن عباسٍ سَمِىِّ محمدٍ ... لا تُعْطِيَنَّ بنى عَدِىٍّ درهَمَا

احرِمْ بنى تَيْمِ بنِ مُرَّةَ إنَّهم ... شَرُّ البرِيَّةِ أَوَّلاً وَمُقَدَّما

منعوا تُرَاثَ محمدٍ أَعْمَامَه ... وابنَيْهِ وابنَتَه عَدِيلةَ مَرْيَمَا

وتأَمَّرُوا من غيرأن يُسْتَخْلَفُوا ... وكَفَى بما فعلوا هنالِكَ مأْثَمَا

لم يَشْكُرُوا لمحمد إنْعامَه ... أَفَيَشْكُرُون لغيره أَنْ أَنْعَمَا

واللهُ مَنَّ عليهمُ بمحمدٍ ... وهَدَاهُمُ وكَسا الجُنُوبَ وأَطْعَمَا

ثم انبَرَوْا لِوَصِيِّه وَوَلِيِّهِ ... بالمنكرات فجرَّعوهُ العَلْقَمَا

قال صاحب الأغانى : وهى[1] قصيدة طويلة حذف باقيها لقبح

(١) الأغانى جزء ٧ ص٢٤٤ طبع دار الكتب المصرية .

ما فيه فلما قرأها المهدى أمر بقطع العطاء ، فقطعه وانصرف الناس ودخل السيد إليه ، فلما رآه ضحك وقال « قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل[١] ولم نعطهم شيئا » .

(٤) عثمان

كان من سوء حظ المسلمين أن انتخب عثمان بن عفان خليفة ، فلم يكن له من الصفات مايجعله أهلا لهذا المنصب الخطير . حقا ! لقد جاهد عثمان فى سبيل الله جهادا مشكورا وضحى بكثير من أمواله لإعلاء كلمة الدين ، ولكنه لم يكن صالحا للحكم . لقد سلم زمام المسلمين إلى قومه الأمويين الذين حاربوا الإسلام بكل ما استطاعوا من حول وطول ، واضطهدوا النبي وآذوه هو وأصحابه ولم يدخلوا فى الإسلام إلا مرغمين . أجل ! لقد أعطاهم عثمان[٢] مقاليد الأمور وتركهم على هواهم فتصرفوا فى أموال المسلمين كيف شاءوا دون رقيب أو حسيب ، ونهبوا ما استطاعوا لا ضمير يؤنبهم ولا دين يردعهم ولا رئيس يؤاخذهم .

ثم إن عثمان عين على الأقاليم ولاة عرفوا بسوء السيرة واشتهروا بالفسق والفجور . ومن هؤلاء الحكام الوليد بن عقبة الذى بعثه عثمان حاكما على العراق . لقد شرب وأفرط فى الشراب ، ثم ذهب إلى المسجد لأداء صلاة الصبح فصلى بالناس أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال : أزيدكم ؟ وتقيأ فى المحراب ، وقرأ فى الصلاة وهو رافع صوته :

علق القلب الربابا   بعد ماشابت وشابا

---

(١) هو السيد الحميرى . (٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ٥٤

فقدم رجل المدينة وأخبر عثمان بما حصل من الوليد فما كان من عثمان إلا أن ضرب الرجل ، فقال الناس: عطلت الحدود وضربت الشهود .

قال صاحب الأغانى [1] « خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد فقال : أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم . فاستجاروا بعائشة ، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة ، فقال : أما يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ؟ فسمعت عائشة فرفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : تركت سنة صاحب هذه النعل فتسامع الناس فجاءوا حتى ملئوا المسجد ، فمن قائل : أحسنت ، ومن قائل : ماللنساء ولهذا ، حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال ، ودخل رهط من أصحاب رسول الله (ص) فقالوا له : اتق الله واعزل أخاك [2] عنهم فعزله » .

فيلاحظ القارىء مما تقدم أمورا منها أن عثمان بن عفان اعتبر وفد العراق فساقا ومراقا ، ثم إنه جعل بيت رسول الله أو بيت عائشة أم المؤمنين ملجأ لهؤلاء الفساق والمراق . فهذا البيت فى نظر عثمان مكان للمروق والخروج ! ! والأمر الثالث الذى يلاحظه القارىء أن عائشة صرحت بأن عثمان ترك سنة رسول الله فتكاثر الناس وتحاصبوا وتضاربوا بالنعال . فكان عثمان بتركه سنة رسول الله مستحقا للعزل . ولما طلب المسلمون منه ذلك وألحوا عليه مرارا رفض وأبى وأمعن

---

(١) الأغانى جزء ٥ ص ١٣٠ طبع دار الكتب .

(٢) كان الوليد بن عقبة أخا عثمان من الرضاع .

فى الرفض و الإباء ، فلم يجد القوم بدا من قتله . قتل عثمان لمـا قدمنا من أسباب ، ولأسباب أخرى لا يتسع المجال لشرحها .

(٥) على

بعد مقتل عثمان انقسم المسلمون إلى ثلاثة أحزاب، هى :

عثمانيون وهم الذين طالبوا بدم عثمان وكانوا فرقتين : الفرقة الأولى بزعامة معاوية ، والثانية بزعامة طلحة والزبير .

أما الحزب الثانى فهم العلويون أنصار على بن أبى طالب .

وبعد قليل ظهر حزب ثالث وهو حزب الخوارج .

ثم أخذت هذه الأحزاب ينقسم بعضها على بعض حتى أربى عدد فرقها على السبعين ، وإنك لتجد ذلك واضحاً جلياً فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى .

(٦) خطر الموقف

اجتمع فريق من المسلمين وبايعوا عليا . وكان أول من بايعه الأشتر النخعى أحد قواد جيشه . ولكن عليا وجد أن عددا كبيرا ممن يعتد برأيهم من الصحابة غير راضين عنه . فدعا طلحة والزبير لمبايعته فتلكأ طلحة فهدده الأشتر النخعى بالقتل فأذعن وبايع . وجىء بسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ليبايعا فامتنعا . وتخلف عن البيعة من الأنصار كثيرون منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة ابن مخلد ، وأبو سعيد الخدرى ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد

ابن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عمرة . وكان هؤلاء يميلون إلى عثمان لما كان يسبغه عليهم من أموال .

ثم إن عائشة زوج النبي انضمت إلى جانب أعداء على ، وأخذت تحرض الناس عليه ، وتشجعهم على محاربته .

وجد على نفسه أمام أعداء أقوياء من الشرق ومن الغرب ، فقد خرج طلحة والزبير إلى العراق ، وكان معهما جيش كبير وخرجت معهما عائشة أم المؤمنين . وهنا يلاحظ القارىء موقفين متناقضين لعائشة ، الموقف الأول كان ضد عثمان الذى ترك سنة رسول الله كما تقدم آنفا .

والموقف الثانى خروجها مع طلحة والزبير إلى العراق ، وانضمامها إلى صفوف الذين يطالبون بدم عثمان !!

لاشك فى أن عائشة أصابت فى موقفها الأول ، ولكنها فى رأيى أخطأت خطأ عظيما فى الثانى ، فما كان لنساء النبي أن يخرجن من بيوتهن على هذه الصورة . ترى ما الذى دفعها إلى الذهاب إلى العراق مع طلحة والزبير ؟؟ وما الذى حملها على تحريض الناس على محاربة ابن عم الرسول ؟ أصحيح أنها كانت تريد الثأر لعثمان ؟

* * *

استطاع على أن يوقع بطلحة والزبير هزيمة شنيعة فى وقعة الجمل التى قتل فيها طلحة والزبير ، وخسر فيها الفريقان خسارة كبيرة . ثم عامل على عائشة معاملة حسنة وردها إلى المدينة معززة مكرمة .

ثم فرغ بعد ذلك لمعاوية ، وتقابلت جيوشهما فى صِفِّين . وهناك دارت رحى الحرب بين الفريقين واستمرت أكثر من ثلاثة أشهر خسر فيها الفريقان خسارة فادحة . ولما رأى معاوية أن الهزيمة توشك أن تلحق به ، استشار عمرو بن العاص فى الموقف فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة الحراب ، وطلب تحكيم كتاب الله . فحاول على أن يحمل جنده على مواصلة القتال حتى النهاية ، ولكنهم رفضوا فاضطر إلى قبول التحكيم . ولما انتهى أمر الحكمين بتثبيت معاوية وخلع على ، أراد على معاودة القتال ، ولكن فريقا من أتباعه رأوا أنه كفر بقبول ، التحكيم وطلبوا منه أن يعترف بذلك ويتوب ولكنه رفض طلبهم ، فخرجوا عليه وسموا بالخوارج . وقد قاتلهم وشتت شملهم فى وقعة النهروان .

ثم رجع من حرب الخوارج وأخذ يحث أنصاره على النهوض معه لقتال معاوية ، ولكنهم كانوا يعتذرون بمختلف المعاذير ليبرروا عدم قدرتهم على القيام معه . وبقى يخطب فيهم على غير جدوى حتى قتل .

* * *

لقد أخفق على إخفاقا مبينا لأنه كان فى العراق حيث القبائل البدوية التى لا تعرف الطاعة ولا النظام بخلاف معاوية الذى كان بالشام يسيطر على جنود يدينون له بالطاعة والولاء .

ثم إن عليا كانت تنقصه صفات لابد من توافرها فى كل سياسى ناجح من مكر ودهاء وخداع وشراء الأنصار بالمنح والصلات إلى غير ذلك مما لم يتوافر فيه

* * *

ولم يكن حظ ابنه الحسن بأفضل من حظ أبيه ، فقد مات مسموماً ، وحدث أن عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد ، فغضب كثير من المسلمين وثاروا عليه . وخرج الحسين إلى العراق فقابلته جيوش يزيد عند كربلاء ولم يخفّ أهل العراق لنجدته ، فحوصر هو وأصحابه ثم هجم عليهم أعداؤهم فاستشهدوا جميعاً ولم ينج إلا طفل صغير هو على بن الحسين الملقب زين العابدين والنساء اللاتى كن مع الحسين .

(٧) خاتمة

هذا البحث الذى سقناه عن الخلافة لابد لنا منه . فالتشيع مذهب سياسى يقوم على أركان أهمها منصب الخلافة ولمن يكون .

ولقد رأينا ان القوم بشر مثلنا ، لهم حسنات ولهم سيئات . وقد كان يخطىء بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضا . وإذا كان التعرض لهؤلاء الناس بالنقد كفرا فما الحكم على عائشة وقد قالت : « اقتلوا نعثلا [١] لعن الله نعثلا » وخرجت إلى العراق وخطبت كثيرا وحرضت الناس على قتل على وأبنائه ، وساقت إليهم الشتائم والسباب ؟ وما الحكم على على وقد رأينا موقفه من أبى بكر وعمر ؟

الظاهر ان النقد للصحابة كفر إذا كان ذلك منا ، أما إذا تعرض بعض الصحابة لبعض كما مر بنا بالسب واللعن فهذا ليس بكفر . ذلك رأى كثيرين . أما أنا فلا أذهب إلى ما يذهبون ولا أرى ما يرون .

* * *

(١) يريد عثمان بن عفان .

لقد تنازع القوم على منصب الخلافة تنازعا قل أن تجد له مثيلا فى الأمم الأخرى ، وارتكبوا فى سبيل ذلك ما نتعفف نحن عن ارتكابه الآن . فترتب على ذلك أن أزهقت أرواح ودمرت مدن ، وهدمت قرى وأحرقت دور ، وترملت نساء ، وتيتمت أطفال ، وهلك من المسلمين خلق كثير . ومع ذلك نجد الكتاب والمؤرخين إذا تناولوا هذا العصر أسبغوا على هؤلاء القوم ثوبا من الإجلال والتقديس وجمعوا حول سيرهم الكثير من الأساطير والخرافات ، ووضعوا لهم المناقب واختلقوا الأحاديث ، حتى إن الناس لم يجرءوا على تناول الأحداث الجسام التى وقعت فى هذا العصر بروح النقد النزيه والتمحيص العلمى ، وذلك لما أصابهم من الخوف والوجل إذا هم تعرضوا لأمثال هؤلاء الرجال . فقد رسخ فى الأذهان أن التعرض لهم كفر صريح ، وخروج على الدين الحنيف .

الفصل الثانى

فرق الشيعة

اختلف الشيعيون فيما بينهم بعد وفاة على بن أبى طالب . وكان أساس اختلافهم تعيين الأئمة . فمنهم من قال إن عليا نص على إمامة ابنه محمد بن الحنفية ، وهؤلاء هم الكيسانية . ومؤسس هذه الفرقة هو المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى استطاع أن يثأر للحسين وينكل بمن حاربوه أو اشتركوا فى قتله . ثم بسط سلطانه على بلاد العراق والجزيرة وفارس وأرمينية ودعا الناس إلى مبايعة محمد بن على الملقب ابن الحنفية ، وأمه تسمى خولة من بنى حنيفة ، واستدل المختار على إمامة ابن الحنفية بأن علياً دفع إليه اللواء يوم الجمل . ويقال إنه أخذ مذهبه هذا من كيسان مولى على ، وقيل إن كيسان هذا لقب المختار . وكان محمد بن الحنفية فى ذلك الوقت مقيماً فى مكة فقبض عليه ابن الزبير وحبسه مع نفر من شيعته فى سجن عارم . ولما بلغه أن جيشا من أنصار ابن الحنفية يعد العدة للهجوم على السجن وتخليص من فيه ، أمر بوضع الخشب وإشعال النيران فى السجن . وفى تلك اللحظة التى اشتعلت فيها النيران وصل نفر من أنصار ابن الحنفية واستطاعوا أن ينقذوه . وقد مات محمد بن الحنفية سنة ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان والى المدينة ودفن بالبقيع . وبموته انقسم الكيسانية إلى فرقتين : الفرقة

الأولى أصحاب أبي كرب الضرير وقد عرفت بالكَرَبية . وهذه الفرقة تزعم أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وأنه مقيم بجبل رضوى وعن يمينه أسد وعن يساره نمر وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل يأخذ منهما رزقه . وأنه سيخرج من هذا الجبل ويعود إلى الدنيا فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وأنه هو المهدى المنتظر . وفكرة الرجعة هذه ظهرت بين المسلمين لأول مرة عند وفاة الرسول ، وكان أول من تكلم بها عمر بن الخطاب إذ قال إن الرسول لم يمت ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وإنه سيرجع كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات . وكان ينتمى إلى هذه الفرقة من الشيعة الشاعران الكبيران كثير والسيد الحميرى ؛ فقد كان كل منهما يدين بإمامة محمد بن الحنفية ويؤمن بالرجعة ؛ وقد قالا فى ذلك شعرا كثيرا تراه فى موضعه من هذا الكتاب .

أما الفرقة الثانية فقالت بوفاة ابن الحنفية ونقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبى هاشم . وقد انشعبت هذه الفرقة بسبب الاختلاف فى اختيار الإمام إلى شعب كثيرة .

* * *

وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقد جعل الإمامة فى الحسن والحسين . واختلفوا فيما بينهم اختلافا كبيرا . فنهم من أجراها فى أولاد الحسن فقال بعده بإمامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه إبراهيم . ومحمد وإبراهيم خرجا على المنصور ، ودارت بين محمد والمنصور مكاتبات بشأن أحقية كل منهما فى الخلافة ، فكتب المنصور

إلى محمد بن عبد الله بعد خروجه يعرض عليه الأمان فرد عليه محمد بخطاب طويل أتينا به فى غيرهذا الموضع من الكتاب فلما قرأه المنصور ، استدعى الكُتّاب ليردوا على محمد بن عبد الله ثم بدا له أن يرد بنفسه فأملى رسالة طويلة أثبتناها عند الكلام على أثر التشيع فى النثر . وقد انهزم محمد وأخوه إبراهيم وقتلا شر قتلة .

ومن الشيعة من أجرى الوصية فى أولاد الحسين وقال بعده بإمامة ابنه على زين العابدين نصا عليه ، ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال بإمامة ابنه زيد وهؤلاء هم الزيدية وهم موجودون حتى أيامنا هذه فى بلاد اليمن . ومنهم من قال بإمامة محمد بن على الباقر نصا عليه ، ثم بإمامة جعفر بن محمد وصية إليه وهؤلاء هم الإمامية . ثم اختلفوا بعده فى أولاده من المنصوص عليه . وهكذا ظل الشيعة ينقسمون إلى فرق كثيرة . ومن أشهر الفرق الباقية إلى اليوم الإمامية الاثنا عشرية . وإليها كان ينتمى الشاعران الكبيران الشريف الرضى وتلميذه مهيار الديلمى . ومن الفرق العظيمة فرقة الإسماعيلية وهى مازالت إلى عصرنا هذا منتشرة فى بلاد الهند وزعيم هذه الفرقة أغاخان الذى يقضى معظم وقته فى أوربا

* * *

وللشيعة معتقدات غريبة فى الأئمة فهم يضعونهم فى منزلة الآلهة ، ويسندون إليهم العصمة ، ويغلون فى ذلك غلوا كبيرا . أُنظر إلى ابن هانىء الأندلسى حيث يقول فى مدح المعز لدين الله الفاطمى .

أتبعته فكرتى حتى إذا بلغت ... غاياتها بين تصويب وتصعيد

رأيت موضع برهان يلوح وما ... رأيت موضع تكييف وتحديد

قال ابن أبي الحديد[١] « وهذا مدح يليق بالخالق تعالى ولا يليق بالمخلوقين » وهم يرون أن طاعة الإمام من طاعة الله فهي ركن من أركان الدين وأساس من أسس الإيمان ، لا فرق بينها وبين أية فريضة من الفرائض . كما يرون أن الإمام هو الذي يشفع لأمته فبه نجاة ، وليس للإنسان ملجأ سواه . هو الذي يحط عنهم ذنوبهم وخطاياهم ، ويخلصهم من الإصر والأوزار . قال ابن هانئ :

فَرْضانِ من صَومٍ وشُكْرِ خِلافةٍ ... هذا بهذا عندنا مَقْرُونُ
فارْزُقْ عبادَكَ مِنْكَ فضلَ شفاعةٍ ... واقرُبْ بهم زُلفى فأنتَ مَكينُ
لكَ حمدُنا لا أنه لك مفخَرٌ ... مَاقَدْرُكَ المنثورُ والموزُونُ
قد قالَ فيك اللهُ ما أنا قائِلٌ ... فكأنَّ كُلَّ قصيدةٍ تَضْمِينُ

وقال من قصيدة أخرى :

هَذا الذى تُرْجَى النَّجاةُ بِحُبِّهِ ... وبه يُحطّ الإصْرُ والأوْزَارُ
هذا الذى تُجْدِى شفَاعَتُه غَدا ... حقًّا وَتَخْمُد أنْ تَرَاهُ النــارُ
مِنْ آلِ أحمدَ كلُّ فَخْرٍ لم يكُنْ ... يُنْمَى إليهمْ ليس فيه فَخارُ

ومنها :

أبناءَ فاطِمَ هل لنا فى حَشرنا ... لجأٌ سواكم عاصِمٌ ومُجار
أنتُمْ أحباءُ الإلهِ وآله ... خُلفاؤه فى أرضــهِ الأبرارُ
أهلُ النُّبوَّةِ والرسالةِ والهُدىَ ... فى البَيِّنَاتِ وَسَادَةٌ أطهارُ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد جزء ١ ص ٢٠ طبعة الحلبي .

والوحي والتأويلِ والتحريم والـــتحليل لاخُلفٌ ولا إنكارُ
إن قيلَ من خيرُ البريةِ لم يكن إلا كُمُ خلقٌ إليـــه يُشارُ
لو تَلْمَسُون الصخرَ لانْبَجَستْ بهِ وتفجَّرتْ وتَدَفَّقَتْ أنهـارُ
أو كانَ منكم للرُّفاتِ مُخاطِبٌ لَبَّوا وظنُّوا أنَّهُ إنْشارُ

ويرى الشيعة أن الإمام من نور الله .

قال ابن هانئ :

وما سارَ فى الأرضِ العريضة ذِكرُه ولـكنه فى مسلك الشمس سالكُ
وما كنه هذا النورِ نورُ جبينه ولـكنَّ نورَ اللهِ فيه مُشارِكُ

ويعتقدون أن حب على وآله كافٍ لمحو أكبر الذنوب ؛ فكان منهم من يشرب الخمر فإذا لامه أحد على ذلك أجاب بأن حب علىّ كفيل بأن يضع أعظم وزر عن عاتق مرتكبه ؛ وفى ذلك يقول أحد شعرائهم .

حُبُّ علىٍّ فى الورى جُنَّةٌ فامح بهـا يارَبِّ أوزارى
لو أن ذِمِّيًا نوى حبـــه حُصِّنَ فى النَّارِ من النَّار

وهم يقولون إن لـكل نبي وصيًا وإن محمداً خاتم الأنبياء وعليا خاتم الأوصياء .

* * *

وقد سرى كثير من عقائد الشيعة إلى سائر الفرق الإسلامية ، فأصبح المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يؤمنون بالمهدى المنتظر . وأخذ الصوفيون هذه الخرافة ووضعوها فى قالب جديد ، فسموا المهدى

قطبا وقالوا عنه «إنه[1] يدبر الأمر فى كل عصر ، وهو عماد السماء ولولاه لوقعت على الأرض» . ولهذا القطب مساعدون يسمون بالنقباء لهم فى زعم المتصوفة قدرة فائقة على استخراج ما تكنه النفوس وما تخفيه الأرحام . قد كشف عنهم الحجاب ، فأصبحوا يعرفون من إبليس مالا يعرفه عن نفسه ، ويقول رجال الطرق[2] الصوفية إن الأشياخ سلم الطريق ، لأن الطريق سماء لا يتوصل إليها إلا بالسلم ، والأشياخ واسطة بين المرء وربه .

وفى مصر نرى كثيرين يعتقدون بوجود شخص يسمى الخضر ، ويسندون إليه من الخوارق والمعجزات ما لم يسند للأنبياء من قبل ، ويقولون إنه لن يموت إلا عند قيام الساعة . والعامة معذورون عندنا لأن رجال الدين لا يكافحون مثل هذه الخرافات .

ولما كانت الإمامة ركنا من أركان الإيمان عند الشيعة ، وكانوا يعتقدون بإمامة علىّ بالنص ، ترتب على هذا أن يكون حب علىّ أساسا من أسس الإيمان . وقد ساقهم هذا إلى تكفير كل من ناوأ عليا أو نازعه فى هذا الحق . قال بذلك معظم فرق الشيعة عدا قليل منهم ، فإنهم لم يحكموا على من خالف عليا بالكفر والخروج عن الدين . فأما الأولون وهم الغلاة فقد كفروا أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، وبالغوا فى ذلك حتى جعلوا لعنهم قربة إلى الله . ومن هنا نستطيع أن نفهم المطاعن الكثيرة التى زخر بها الأدب الشيعى فى حق الخلفاء الأولين ،

---

(١) الفتوحات المكية لابن العربى ج

(٢) كتاب المنهج الحنيف لأحد الصوفيين — مخطوط .

فقد كان السيد الحميرى وابن الحجاج ومهيار الديلمى يكثرون من سب هؤلاء القادة وهم يرون فى ذلك ما يقربهم من الله وما يضمن لهم الجنة التى أعدت للمتقين .

وقد اعتاد أعداء الشيعة أن يطلقوا على كل من عرف بتشيعه كلمة « رافضى » والحق أن الرافضة فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن على بن الحسين ، ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين (أبى بكر وعمر) نقاتل معك ؛ فأبى وقال : كانا وزيرى جدى ، فلا أبرأ منهما ؛ فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه فسموا الرافضة[1] لذلك .

ومن هذا يتضح أن الرافضى هو الذى يرفض أبا بكر وعمر ، ولا يرى لأحد حقا فى الخلافة سوى علىّ . إلا أن كلمة رافضى كانت تطلق تشفيا وانتقاما من كل من أبدى حبا لآل على . قال الإمام الشافعى :

إِنْ كانَ رفضا حبُّ آلِ محمدٍ ... فليَشْهدِ الثَّقلانِ أنّىَ رافضِى

وقال :

برئتُ إلى المهيمنِ من أُناسٍ ... يرَوْنَ الرفضَ حبّ الفاطميَّهْ
على آلِ الرسولِ صلاةُ ربِّى ... ولعْنَتُه لتلكَ الجاهليَّهْ

---

(١) انظر القاموس وشرحه فى مادة (رفض) .

الفصل الأول
في النـــثر

(١) الخطابة

لما قام الخلاف بين علي ومعاوية شرع كل منهما يخطب في جنوده وأنصاره محرضا إياهم على القتال والكفاح ، فراجت سوق الخطابة رواجا عظيما ، وارتفع شأنها إلى درجة لم يسبق لها مثيل ، وكثر الخطباء في كل قطر من علويين وأمويين وخوارج ، كل يؤيد وجهة نظر الحزب الذي ينتمي إليه ، وكل يحرص على أعدائه ويطعن فيهم ويرميهم بكل نقيصة . نهضت الخطابة في كل صقع : في الشام وفي العراق وفي مصر وفي الحجاز وفي اليمن . وامتاز أسلوبها بالقوة والمتانة وكثرة الاستشهاد بالقرآن والحديث والاقتباس من الشعر والأمثال فضلا عن البراهين والأدلة التي يسوقها كل خطيب ليدعم بها رأيه ويؤيد مذهبه . وكانت الخطب ، ولا سيما خطب العلويين تفيض بالعواطف وتزخر بالحماسة وتطفح بالتحريض على القتال والنزال . فيها تهديد بغضب الله على كل من يتخلف عن الجهاد وفيها ترغيب بدخول الجنة لمن يجاهدون ويكافحون . وقد بلغت في الطول درجة لم تصل إليها من قبل .

ومن أشهر خطباء ذلك العصر الإمام علي الذي امتاز بمضاء لسانه ، وعلو بيانه ، وقوة منطقه ، وسطوع حجته ، وموآتاة البلاغة له في خطبه

الناس ويتركونهم حتى تنبعث منهم الروائح الكريهة ، ثم يحرقونهم ويذرونهم فى الهواء . وسب الأمويون عليا على المنابر واخترعوا له المثالب والنقائص . وحرموا على الناس ذكر اسمه أو اسم أحد من أبنائه كما حرموا على الناس أن يسموا أبناءهم عليا أو حسنا أو حسينا .

ثم جاء دور بنى العباس ، وكانوا للعلويين أشد كرها ، وأعظم بغضا ، فأمعنوا فيهم قتلا وحرقا ، واضطهادا وتعذيبا ، فأمر المنصور بحمل إليه من المدينة كل من كان فيها من العلويين مقيدين بالسلاسل والأغلال ، ولما وصلوا إليه وكان بالهاشمية ، حبسهم فى سجن مظلم لا يعرف فيه ليل من نهار . وكان إذا مات واحد منهم ترك معهم . وأخيرا أمر بهدم السجن عليهم . وفى ذلك يقول أحد شعراء الشيعة :

واللهِ ما فعلَتْ أميةُ فيهـــمُ ... مِعْشَارَ ما فَعَلَتْ بنو العباسِ

وقال أبو فراس :

ما نال منهمْ بَنو حرب وإنْ عَظُمَتْ ... تلكَ الجرائمُ إلا دونَ نَيْلِكُمُ

وقال الشريف الرضى :

ألا لَيْس فعلُ الأَولينَ وإنْ علاَ ... علَى قُبحِ فِعلِ الآخرينَ بِزَائِدِ

وقد بالغ الرشيد فى التنكيل بالعلويين . ولم يخف الضغط عليهم إلا حين ضعفت الخلافة العباسية وأصبح السلطان الفعلى فى الممالك الإسلامية للترك والديلم وبنى حمدان .

كل هذه النكبات قد أثرت تأثيرا كبيرا فى الأدب الشيعى نثره وشعره . وإنا مبينون ما تركته من أثر فى دولة النثر أولا ثم فى دولة الشعر ثانيا .

الباب الثاني

مقـــــدمة

التشيع والأدب

جاء الأدب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد. فقد قتل عليّ، وأصبح آله يُستذلون و يُضامون، و يُقصون ويمتهنون، ويحرمون ويقتلون، ويخافون ولا يأمنون على دمائهم ودماء أوليائهم. فقتل أنصار علي فى كل قطر وكل مصر فى عهد معاوية، وعذبوا تعذيبا مرا، قطعت منهم الأيدى والأرجل على الظنة. من ذكر بحب آل عليّ سجن أو نهب ماله أو هدمت داره. وكان البلاء يشتد على العلويين يوما بعد يوم. فقتل الحسين على صورة مؤلمة فى كربلاء، ثم جاء الحجاج فبطش بهم بطش عزيز مقتدر حتى أصبح اتهام الرجل بالزندقة والكفر أهون عليه بكثير من اتهامه بحب آل عليّ. فقد أفتن الأمويون فى طرق الإعدام، فمن دفن للناس وهم أحياء، إلى صلب على جذوع النخل، إلى حرق، إلى حبس ومنع الهواء والأكل والماء عن المحبوس حتى يقضى نحبه جوعا وعطشا. كانوا يرتكبون هذه الآثام فى وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا فيقطعون رأس الابن أو الزوج ويبعثون بهذا الرأس إلى الأم أو الزوجة ويلقونه فى حجرها. وكانوا يصلبون

وكتبه ورسائله وسوابغ حكمه وجوامع كلمه . قال الشريف الرضى فى مقدمة نهج البلاغة يصف عليا : «كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنْشأ البلاغة ومَوْلِدَها ، ومنه عليه السلام ظهر مَكنونُها وعنه أُخذتْ قوانينها ، وعلى أَمثلته حذا كلُّ قائلٍ وخَطيب ، وبكلامه استعان كلُّ واعظ بليغ ، ومع ذلك.فقد سبقَ وقصروا ، وقد تقدَّم وتأخروا ، لأن كلامَه عليه السلامُ الكلامُ الذى عليه مَسحةٌ من العلم الإلهى ، وفيه عَبْقةٌ من الكلام النبوى . » ومن بليغ خطبه قوله .

« أما بَعْد ، فإن الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنةِ ، فتحه اللهُ لخاصةِ أَوليائِه ، وهو لباسُ التقوى ، ودرعُ اللهِ الحصينةُ ، وجُنَّتُه الوثيقة . فمن تركه رغبةً عنه ، ألبسه الله ثوبَ الذُّل ، وشَمَله البلاء ، ودُيِّث بالصَّغار والقَمَاءَةِ ، وضُرب على قلْبِه بالإسْهابِ ، واديلَ الحقُ منه بتضييعِ الجهادِ ، وسيمَ الخسفَ ومُنِعَ النَّصْفَ . ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتالِ هؤلاء القومِ ليلا ونهارا ، سرا وإعلانا ، وقلتُ لكم اغزوهم قبلَ أن يغزوكم ، فو الله ماغُزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنت عليكم الغارات ، ومُلِكت عليكم الأوطان . وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبارَ ، وقد قتل حسانَ البكريَّ وأزالَ خيلَكم عن مَسالحها . ولقد بلَغنى أن الرجلَ منهم كان يدخل على المرأةِ المسلمةِ، والأخرى المعاهدةِ فينتزعَ حُجُلَها [1] وقُلُبها [2] ، وقلائدَها ورُعُثَها [3] ، ما تمتنِع منه إلا بالاسترجاعِ [4] والاسترحامِ ، ثم انصرفوا وافرين ، مانالَ رجلا منهم كلمٌ ، ولا أريق لهم دم . » وهى طويلة يراها القارىء فى كثير من

---

(١) الحجل بالكسر الخلخال . (٢) السوار .

(٣) واحده رعثة بالفتح وهو القرط . (٤) ترديد الصوت بالبكاء .

كتب الأدب لا سيما البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد . وأنت ترى أن عليا بدأ خطبته بالترغيب فى الجهاد الذى هو باب من أبواب الجنة وطريق يؤدى إلى النعيم المقيم ، وترك هذا الجهاد يسوق الناس إلى الذل والعبودية . ثم أخذ يستنفر قومه إلى الحرب فذكر أن عسكر أخى غامد قد دخلت الأنبار وارتكبت فيها من الجرائم شيئا كثيرا . قتلت الرجال وحرقت الدور ودمرت الأحياء . ثم وضع علىّ يده على أهم ما يثير العربى وهو العرض فأخبرهم أن الرجل من هؤلاء الغزاة كان يدخل على المرأة فيسلبها حليها وينصرف آمنا مطمئنا .

* * *

أما الأمويون فكانوا يملئون خطبهم بالشتائم والسباب والمطاعن والمثالب فى على وآل بيته . وكان الخطباء فى المساجد يختمون خطبة الجمع بلعن علىّ والترحم على عثمان والاستغفار له ، وإطراء شيعته . روى الطبرى أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى جمادى سنة ٤١ هـ ، دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . . . « أردت إيصاءك بأشياء كثيرة ، فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضينى ويسعد سلطانى ، ويصلح به رعيتى ، ولست تاركا إيصاءك بخصلة ، لا تَتَحَمَّ(١) عن شتم علىّ وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم وعدم الاستماع منهم . . . .(٢) » قال الطبرى « إن المغيرة أقام عاملا على الكوفة لمعاوية سبع سنين وأشهرا وهو من أحسن شىء سيرة وأشده حبا للعافية ، غير أنه لا يدع ذم علىّ والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه . »

---

(١) لا تتحب .   (٢) تاريخ الطبرى جـ ٦ ص ١٤١ طبع أوربا .

(٢) الرسائل

ظهر أثر التشيع واضحا جليا فى الرسائل التى تبودلت بين علىّ ومعاوية وبين الحسن ومعاوية وبين زينب بنت على وبين يزيد ، وبين محمد بن عبد الله وبين المنصور ، وبين غير هؤلاء من علويين وأمويين أو علويين وعباسيين . وقد امتازت هذه الرسائل بطولها ، وبقوة أسلوبها ومتانة تركيبها . ترى فيها الحجج القوية ، والبراهين الساطعة ، والأدلة الواضحة التى يأتى بها كاتبها تأييدا لما يقول ، وطعنا على صاحبه واسقاطا لما يدعى فى الخلافة ، واظهارا لنقائص الخصم ومثالبه . فيها ترغيب وتهديد ، ووعد ووعيد .

وامتازت هذه الرسائل كذلك بكثرة الاقتباس من القرآن والحديث والحكم والأمثال والشعر . ومن أمثلة ذلك أن المنصور بعث رسالة إلى محمد بن عبدالله بالمدينة ، وكان قد خرج عليه ، وأعلن الحرب ضده — يرغبه ويرهبه ، وينذره عاقبة الخروج والعصيان ، ويبذل له الأمان إن تاب وعاد إلى الجماعة . فكتب إليه محمد بن عبدالله هذا الكتاب

« بسم [1] الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدى محمد بن عبدالله إلى عبدالله بن محمد . طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ، إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٩ ص ٢٠٨ .

الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ؛ ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى عرضت على ، فإن الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليا كان الوصى ، وكان الإمام . فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا ، وشرف آبائنا ؛ لسنا من أولاد اللُّعَناء ولا الطُّرَدَاء ، ولا الطُّلَقاء . وليس يمت أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وإنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة فى الإسلام دونكم . إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن السلف أولهم إسلاما علىّ ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول من صلّى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولدين فى الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ؛ وإن هاشما ولد عليا مرتين وإن عبد المطلب ولد حسنا مرتين وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين . وإنى أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أما وأبا ، لم تعرق فى العجم ، ولم تتنازع فىّ أمهات الأولاد . فما زال الله يختار لى الآباء والأمهات فى الجاهلية والإسلام حتى اختار لى فى النار ، فأنا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة وأهونهم عذابا فى النار ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار . ولك الله علىّ إن دخلت فى

طاعتى ، وأجبت دعوتى . أن أؤمنك على نفسك ومالك ، وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله ، أو حقا لمسلم أو معاهد ، فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد ، لأنك أعطيتنى من العهد والأمان ماأعطيته رجالا قبلى : فأى الأمانات تعطينى؟ أأمان ابن هُبيرةَ ؟ أم أمان عمك عبدالله بن على ؟ أم أمان أبى مسلم ؟ ؟»

فأنت ترى فى هذه الرسالة أن كاتبها محمد بن عبدالله عرض فيها نظرية العلويين السياسية والدينية ، وهى أنهم ورثوا الخلافة عن النبي لأن أباهم كان وصىّ النبي ، ولأن أمهم بنت النبي ، وما كان لغيرهم أن يلى الخلافة وهم أحياء . ثم أخذ بعد ذلك يفتخر بقرابته من النبي ومكانته منه فى الإسلام وفى الجاهلية ؛ وبهذه الكرامة التى خص الله بها أهل البيت . ثم ذكر أنه ابن خير الأخيار وخير الأشرار ، وخير أهل الجنة وخير أهل النار . أراد أبا طالب الذى مات ولم يسلم ، فيروى أنه أقل أهل النار عذابا لما قام به نحو النبى من واجب العطف والرعاية . ثم ختم رسالته بفقرة بلغت من القوة مبلغا عظيما ، حتى إن المنصور لم يستطع لها دفعا ، لأنها كانت من الحق بحيث لا يمكن دفعها . هذه الفقرة التى يذكر فيها خيانة المنصور لقوم استأمنوه فآمنهم ، ثم غدر بهم ، ونقض عهده ، وأخذهم على غرة وهم عزل من كل سلاح . وقد وقع هذا الخطاب وقوع الصاعقة فى قصر المنصور ، فاهتم به اهتماما كبيرا ، وانتدب الكتاب والأمراء للرد عليه ، ولكنهم لم يوفقوا إلى إرضائه فيما كتبوا ، فتولى الرد بنفسه ، وأملى هذه الرسالة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى

محمد بن عبد الله : أما بعد ، فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل فخرك بقرابة النساء ، لتضل به الجفاة والعوغاء : ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعَصبة والأولياء : لأن الله جعل العم أبا وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ، ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحما ، وأعظمهن حقا ، وأول من يدخل الجنة غدا ، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب وولادتها ،فإن الله لم يرزق أحدا رزق الإسلام ، لا بنتا ولا ابنا . ولو أن أحدا رزق الإسلام بالقرابة ، رزقه عبدالله أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الأمر لله يختار لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين . ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل : وأنذر عشيرتك الأقربين . فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان : أحدهما أبي : وأبى اثنان : أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثا .

وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابا ، وابن خير الأشرار ، وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير . وليس في الشر خيار ؛ ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترد فتعلم . « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

أما ما فخرت به من فاطمة أم علي ، وأن هاشما ولده مرتين ، ومن فاطمة أم حسن وأن عبد المطلب ولده مرتين وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولدك

مرتين ، فخير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم
إلا مرة ، ولا عبد المطلب إلا مرة : وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسبا ،
وأصرحهم أما وأبا ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ،
فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا . وانظر ويحك أين أنت من الله غدا ،
فإنك قد تعديت طورك ، وفخرت على من هو خير منك نفسا وأبا ، وأولا
وآخرا ، ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ولد ولده .
وما خيار بنى أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم ، إلا بنو أمهات أولاد .
وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على بن حسين ،
وهو لأم ولد ، ولهو خير من جدك حسين بن حسن ؛ وما كان فيكم
بعده مثل ابنه محمد بن على وجدته أم ولد ، ولهو خير من أبيك . ولا
مثل ابنه جعفر ، وجدته أم ولد ، ولهو خير منك .

أما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى
يقول فى كتابه : «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» . ولكنكم بنو ابنته .
وإنها لقرابة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ،
ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث بها ؟ ولقد طلب بها أبوك بكل
وجه ، فأخرجها نهارا ، ومرضها سرا ، ودفنها ليلا ، فأبى الناس إلا الشيخين
وتفضيلهما . ولقد جاءت السنة التى لا اختلاف فيها بين المسلمين ، أن
الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون . وأما ما فخرت به من على
وسابقته ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره
بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه . وكان فى الستة
فتركوه كلهم ، دفعا له عنها ، ولم يروا له حقا فيها . أما عبد الرحمن فقدم

عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له مُتَّهم . وقاتلهُ طلحة والزبير . وأبى سعد بيعته ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده . ثم طلبها بكل وجه ، وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حَكَّم حكَمين رضى بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حَسَن ، فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير ولائه ولا حِلّه ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه ، وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك حسين بن عليّ على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه . ثم خرجتم على بنى أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم ، وأسروا الصبية والنساء ، وحملوهم بلا وطاء من المحامل ، كالصبيّ المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنّينا سلفكم وفضلناه ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا ذكرنا أباك وفضلناه ، للتقدمة مناله على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت . ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلما منهم ، مجتمعا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة فى الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه . ولقد علمت أن مكرمتنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم ، وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازعنا فيها

أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فما نزل عنها فى الجاهلية والإسلام . ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به . ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره . فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله إلا ولده . فالسقاية سقايته ، وميراث النبى له ، والخلافة فى ولده . فلم يبق شرف ولا فضل فى جاهلية ولا إسلام ، فى دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه . وأما ماذكرت من بدر ، فإن الإسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم ، للأزمة التى أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها ، لمات طالب وعقيل جوعا ، أو يلحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسُّبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيلا يوم بدر : فكيف تفخر علينا وقد علناكم فى الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا إلا نفسكم . والسلام عليك ورحمة الله » .

***

وقد أتيت بهاتين الرسالتين ، لأضع أمام القارىء صورة من حرب الأقلام ، وهى لم تكن أقل عنفا وشدة من حرب السهام . وكما كانت رسالة محمد بن عبد الله قوية جدا ، كذلك كانت رسالة المنصور فى غاية

القوة ، ومنتهى الشدة ، فاستطاع أن يرد على خصمه ردا مفحما ، وأن يهدم مفاخر العلويين هدما تاما ، ويقيم على أنقاضها مفاخر العباسيين ، وأن يقضى على نظرية العلويين فى الحكم قضاء مبينا ، مدللا على قوله بالقرآن والسنة والإجماع ؛ فبين أن العم أحق بالوراثة من البنت ، وأن العباس قد ورث النبى ، فطبيعى أن يرثه أبناؤه من بعده . وذكر المنصور أن العلويين إن كان لهم بعض حق فيها ، فقد باعه حسن لمعاوية بخرق ودراهم ، وعير العلويين بنكرانهم الجميل ، وكفرهم النعمة . فقد نهض العباسيون وجاهدوا فى سبيل الثأر لهم ، حتى نصرهم الله ووفقهم ، وأدركوا الثأر ، وأذلوا الأمويين ، وأذهبوهم من الوجود ، ومع كل هذا لم يجدوا من أبناء عمهم إلا عقوقا وجحودا .

(٣) الحديث

والحديث كما تعلم جزء من الأدب . وقد اجتهد العلويون فى وضع الأحاديث الكثيرة التى تثبت حق علىّ فى الخلافة ، والتى ترفع من شأنه وتعلى من مقامه . وقد بلغت الأحاديث التى وضعها الشيعة آلافا . ويتضمن كتاب الكافى ، وهو عندهم بمنزلة صحيح البخارى عند السنيين ، طرفا منها . قال ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة [1] « واعلم أن أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفة فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم » .

---

(١) المجلد الثالث طبع مطبعة الحلبى ص ١٧ .

ثم قال : « فلما رأت البكرية ماصنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث » وقال في موضع آخر : « فلما رأت الشيعة ماقد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث » .

وهكذا ظل القوم يتنافسون في الوضع ، ويتسابقون في ميدان الكذب . وكان المراءون والمستضعفون من الرجال يضعون الأحاديث في فضائل عثمان وغيره من الصحابة ، ويتقربون بها إلى بني أمية ، الذين كانوا يجزلون لهم العطاء ، ويمنحونهم الجوائز والهبات . ثم أخذ الشيعة في وضع أحاديث تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم وفسقهم ، فقابلهم خصومهم بمطاعن كثيرة في علي وفي ولديه ، ونسبوه تارة إلى ضعف العقل ، وتارة إلى ضعف السياسة ، وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها . ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا ، بل ذكروا كثيرا من هذه الأحاديث الموضوعة ، وبينوا وضعها ، وأن رواتها غير موثوق بهم . ومثال ذلك ماروى عن علي بن أبي طالب أنه قال :

« خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ مررنا بنخل ، فصاحت نخلة بأخرى هذا النبي المصطفى وعلي المرتضى ، ثم جزناها فصاحت ثانية بثالثة موسى وأخوه هارون ، ثم جزناها فصاحت رابعة بخامسة هذا نوح وابراهيم ، ثم جزناها فصاحت سادسة بسابعة هذا محمد سيد المرسلين ، وهذا علي سيد الوصيين فتبسم ثم قال ياعلي : إنما سمي نخل المدينة صيحانا لأنه صاح بفضلي وفضلك » . وهذا الحديث أورده الإمام السيوطي في كتاب اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

مرويا عن ابن الجندى ثم ذكر أن ابن الجندى هذا كان شيعيا ضعيفا فى الرواية . ثم أورد السيوطى آراء علماء الحديث فيه وقد أجمعوا على أنه موضوع .

ومثال آخر وهو ماروى عن محمد بن أيوب ومحمد الأسدى ومحمد ابن يونس الكديمى « النظر إلى على عبادة » ذكر السيوطى أن محمد بن أيوب مشهور برواية الموضوعات ، ومحمد الأسدى ومحمد بن يونس الكديمى مشهوران بالكذب . وما رواه حفص بن عمر الإيلى من أن النبى قال لعلى حين خرج لغزوة تبوك :

« المدينة[1] لا تصلح إلا بى أو بك وأنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى » . قال ابن حبان : حفص كذاب يحدث عن الأئمة بالبواطيل .

ولم يكتف العلويون بوضع الأحاديث التى تؤيد وجهة نظرهم السياسية ، بل وضعوا أحاديث تثبت أن عليا اختصه الله بما لم يختص به أحدا من البشر ، ومنحه من العلم والذكاء والشجاعة والحلم وسائر الفضائل مالم يمنح غيره من الناس . ومثال ذلك ماروى عن ابن عباس أنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا مدينة العلم وعلى بابها » أنكره ابن الجوزى وقال إنه موضوع .

وقد كان للفرس نصيب وافر فى وضع الأحاديث التى ترفع من شأن

---

(١) اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى طبع مصر ص ١٧٧ .

علي وآله ، وقد أقر بعضهم بذلك ومنهم ميسرة [١] بن عبد ربه الذى اعترف بأنه وضع سبعين حديثا فى فضل علي .

ومن أمثلة ماوضعه خصوم الشيعة ماروى من أن يهوديا أتى أبا بكر فقال : والذى بعث موسى وكلمه تكليما إنى لأحبك ، فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاونا باليهودى ، فهبط جبريل ، وقال : يامحمد : إن العلى الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك قل لليهودى الذى قال لأبى بكر إنى أحبك ، إن الله قد حاد عنه فى النار خلتين ، لاتوضع الأنكال فى عنقه ولا الأغلال فى عنقه لحبه أبابكر ، فأخبره ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وما ازددت لأبى بكر إلا حبا ، فقال « هنيئا لك ، أحاد الله عنك النار بحذافيرها ، وأدخلك الجنة لحبك أبا بكر » أتى به السيوطى فى كتابه الآنف الذكر ، وقد أنكره أئمة الحديث . وحديث آخر روى عن النبي أنه قال « يبعث معاوية يوم القيامة وعليه رداء من نور » ، جزم ابن الجوزى وابن حبان بأنه موضوع .

* * *

كثر وضع الأحاديث كثرة هائلة . وقد روى عن الإمام أبى حنيفة أنه لم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا ، ولم يصح عند الإمام مالك إلا ثلثمائة حديث . ولم يصح عند البخارى إلا ٢٦٠٠ من أكثر من ٦٠٠،٠٠٠ حديث سمعها الناس .

وقد تجاوزوا فى الوضع والكذب دائرة الأشخاص إلى القرآن ،

---

(١) مختصر علم الحديث لابن كثير هامش ص ٨٣ .

فهذه الآية تشفى من مرض كذا وتلك تذهب الفقر وتجلب الغنى وهكذا .
ومثال ذلك ماروى عن أبى هريرة أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حول ولاقوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء »
ورووا أن النبي قال : « من كانت له حاجة فليتوضأ وضوءا جيدا ، ثم يلزم موضعا لايراه أحد فيصلى أربع ركعات ، يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الثالثة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الرابعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة . فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ، ثم يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العظيم خمسين مرة ثم يستغفر الله سبعين مرة ، فإن كان عليه دين قضى الله دينه ، وإن كان فقيرا أغناه الله ، وإن كان غريبا رده الله إلى أهله ، وإن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له ، وإن لم يكن له ولد فيسأل الله يرزقه ولدا »

* * *

وقد انغمس فى الكذب والافتراء فريق ممن عرفوا بالتقوى والورع والنسك والزهد . فترتب على هذا أن الشعوب الإسلامية أصبحت ألعوبة فى يد فريق من النـاس يسيرونها وفق أهوائهم ، ويستغلونهـا لمنفعتهم الخاصة باسم الدين وهم من أبعد الناس عن الدين . وقد أثر هذا فى فى حياة المسلمين وأدى بهم إلى نوع من الذل والعبودية وضرب من التأخر والانحطاط .

(٤) القصص

قيل إن معاوية كتب إلى عماله «أن [1] انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم ، واكتبوا الى بكل مايروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ، ففعلوا ذلك حتى أكثروا فى فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء ويفيضه فى العرب منهم والموالى ، فكثر ذلك فى كل مصر وتنافسوا فى المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروى فى عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقر به وشفعه فلبثوا بذلك حينا » ولما كثرت الروايات فى مناقب عثمان كتب معاوية إلى عماله ليحملوا الناس على الرواية فى فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا يتركوا منقبة يرويها أحد من المسلمين فى أبى تراب إلا ويأتوا بمناقض لها فى الصحابة مفتعلة ، فقرئت كتب معاوية على الناس فى مختلف الأمصار فتسابق القوم فى اختلاق المناقب وإلصاقها بكثير من الصحابة وجدوا فى ذلك إلى أبعد حد ، وأشادوا بتلك المناقب على المنابر ودفعوا بما اختلقوا إلى معلمى الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير حتى حفظوه كما يحفظون القرآن ، وعلموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم

ولما تولى الحجاج العراق ، واشتدت وطأيه على العلويين ، تقرب إليه أهل النسك والصلاح ببغض علىّ وعيبه والطعن فيه ، كما أنهم أثبتوا قدرة

(١) شرح ابن أبى الحديد المجلد الثالث ص ١٥ وما بعدها .

فائقة على الكذب والافتراء فأضافوا قسطا وافرا إلى ما وضعه أسلافهم من الفضائل والمناقب وألصقوها بكثير من زعماء المسلمين الأولين.

فلما رأى العلويون ذلك عمدوا إلى مقابلة هذه الحركة بضدها وبرهنوا على أنهم لا يقلون عن خصومهم فى القدرة على الوضع والاختلاق. فصنعوا المناقب الكثيرة لصاحبهم، ونسبوا إليه كل فضيلة، واجتهدوا فى ذلك اجتهادا كبيرا.

قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة «وما أقول فى رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها، ومجلى حلبتها. كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى. وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهى، لأن شرف العلم بشرف المعلوم. ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى ومنه ابتدأ. فان المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام».

ومن خوارق العادات ما رواه صاحب الأغانى[1] من أن عليا عزم على الركوب، فلبس ثيابه، وأراد لبس الخف، فلبس أحد خفيه ثم هوى إلى الآخر فانقض عقاب من السماء فحلق به ثم ألقاه فسقط منه أسود[2] وانساب فدخل جحرا فلبس على بن أبى طالب الخف. وفى ذلك يقول السيد الحميرى:

---

(١) ص ٦ حـ ١.

(٢) الأسود: العظم من الحيات.

ألا ياقومُ للعجبِ العُجَابِ لخُفِّ أبي الْحُسيْنِ ولِلحُبابِ
أَتى خُفًّا له فانساب فيه لِيَنْهَشَ رِجلَهُ منه بِنَابِ
فَخَرَّ من السماء له عُقَابٌ من الْعُقبانِ أو شِبْهِ العقابِ
فطار به فحلّق ثُمَّ أهْوَى به للأرْضِ من دون السَّحَابِ
إلى جُحْرٍ له فانساب فيه بَعيدِ القَعْرِ لم يُرْتَجْ ببابِ
كريهُ الوَجْهِ أسودُ ذو بَصيصٍ حديدُ النَّابِ أَزْرَقُ ذو لُعَابِ
وَدُوفِعَ عن أبى حسن عليٍّ نقيعُ سِمَامِهِ بعـــد انْسِيَابِ

* * *

ولما شاع التدوين وانتشر التأليف ظهرت كتب كثيرة فى مناقب أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أصحاب رسول الله . ذكر ياقوت[1] أن الطبرى « رجع إلى طبرستان فوجد الرفض قد ظهر ، وسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر ، فأملى فضائل أبى بكر وعمر حتى خاف أن يجرى على لسانه ما يكرهه فخرج منها من أجل ذلك » .

قال ابن أبى الحديد[2] « ولقد كان الفريقان فى غنيـة عما اكتسباه واجترحاه ، ولقد كان فى فضائل على عليه السلام الثابتـة الصحيحة وفضائل أبى بكر المحققة المعلومة مايغنى عن تـكلف العصبية لهما ، فإن العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل ، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوىء والمقابح . »

(١) معجم الأدباء جـ ١٨/ ٨٥ . (٢) المجلد الثالث طبع الحلبى ص ١٧ .

كانت هذه الكتب الكثيرة التى ألفت عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى مبنية على الخيال ، فيها أساطير وخرافات فهى قصص أدبية فيها لذة كبيرة ومتعة عظيمة . وقد انتشرت هذه القصص بين الجمهور خصوصا مادار منها حول على وأبنائه وشُغف العامة بها شغفا عظيما وأقبلوا على تلاوتها فى مجالس السمر . ومن هذا القبيل قصص كتبت فى عصور مختلفة عن آل البيت مثل السيدة زينب حارسة مصر ، والحسن والحسين والسيدة نفيسة والسيدة عائشة والخضر وغيرهؤلاء . ثم تجاوز الأمر آل البيت إلى الأولياء والأقطاب ، فوضعت كتب عن السيد البدوى ، والسيد أحمد الرفاعى ، وابراهيم الدسوقى ، وعبد الرحيم القنائى ، والسيد أبى الحجاج .

وهكذا اجتهد المسلمون شيعيين وسنيين فى نشر الخرافات والأوهام والأساطير والأباطيل حول زعماء المسلمين من آل البيت وغيرهم فتأثرت بها عقائد العامة وتصوراتهم فى العصور المختلفة ، وترتب على ذلك أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تركوا الإسلام الصحيح الذى يقوم على التوحيد ، واتخذوا أربابا كثيرين يدعونهم من دون الله إذا مسهم الضر .

فنرى من هنا أن التشيع قد أخرج نوعا من الأدب كان سببا فى الهبوط بالمسلمين إلى هوة سحيقة من التأخر والانحطاط . وقد أفلح الوهابيون فى القضاء على كثير من هذه الخرافات فى داخل بلادهم ، أما فى الأقطار الإسلامية الأخرى فالحال باقية كما هى عليه حتى بين طبقة المتعلمين .

(٥) انتحال القول

ولم يقف أثر التشيع فى النثر العربى عند ماقدمناه بل تعداه إلى شيء آخر، وهو وضع أدباء الشيعة لأقوال وخطب ورسائل وإسنادها إلى أئمتهم وبخاصة على بن أبى طالب . فقد أخذ ماينسب إليه من خطب وأمثال وحكم يزداد يوما بعد يوم ، حتى أتى الشريف الرضى فجمع كل ماينسب إليه فى كتاب ضخم سماه نهج البلاغة . ونحلوه كلاما يخلو من أشيع الحروف فى الكلمات وهو حرف الألف . ولا يعقل أن يظهر مثل هذا التكلف قبل عصر العباسيين .

ونحلوه من مصطلحات علم الكلام أقوالا لم تعرف ولا يعقل أن تعرف قبل ترجمة المفردات الإغريقية بمالها من غرائب النحت والاشتقاق ومثال ذلك « وإنك أنت الله الذى لم تتناه فى العقول فتكون فى مهب فكرها مكيفا ، ولا فى رويات خواطرها فتكون محدودا مصرفا» .

ومما ينسب إليه قوله « سلونى قبل أن تفقدونى ، فإن بين كتفى علما جمًّا خبرنى به حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام إليه صعصعة ابن صوحان ، فقال له يا أمير المؤمنين : متى يخرج الدجال ؟ فقال له أقعد ياصعصعة ، فقد علم الله جل ثناؤه مقامك ، ولكن له علامات وهنات وأشباه يتلو بعضها بعضا حذو النعل بالنعل تكون فى حول واحد فإن شئت نبأتك بعلاماته . فقال عن ذلك سألتك يا أمير المؤمنين ، قال له : أعقد بيدك يا صعصعة . إذا أمات الناس الصلاة ، وأضاعوا

الأمانة ، واستحلوا الكذب ، وأكلوا الربا ، وأخذوا الرشا ، وشيدوا البناء ، واتبعوا الأهواء ، وباعوا الدين بالدنيا ، واستخفوا بالدماء ، وكان الحلم ضعفا ، والظلم فخرا ، والأمراء فجرة ، ووزراؤهم وأمناؤهم خونة ، وقراؤهم فسقة ، ويظهر الجور ، ويكثر الطلاق وموت الفجاءة ، وحليت المصاحف ، وزخرفت المساجد ، وطولت المنابر ، وخربت القبور ، ونقضت العهود ، واستعملت المعازف ، وشربت الخمور[1] » .

فظاهر من هذه القطعة أنها لا يمكن أن تصدر إلا عن شخص عاش فى العصر العباسى الثانى ، حينما انغمس الناس فى الترف والنعيم ، فأنشأوا القصور الفخمة ، وأقاموا المساجد العظيمة ، وتأنقوا فى بنائها وزخرفوها وبرعوا فى زخرفتها . وشملت عنايتهم جميع فروع الحياة من ملبس ومأكل ومسكن . وتفننوا فى كتابة المصاحف وتحليتها بالذهب والفضة ، وأبدعوا فى ذلك إبداعا عظيما . فأين كل هذا من عصر علىّ ؟

* * *

وعلاوة على ما تقدم فإن أدباء الشيعة وضعوا كثيرا من القطع الأدبية والخطب والرسائل التى تؤيد مذهبهم وتدعم رأيهم أو التى ترفع من شأن على وأبنائه ، وأجروها على ألسنة أشخاص مختلفين . ومثال ذلك ما رواه أبو على القالى[2] فى كتاب الأمالى من أن معاوية قال لضرار الصدائى : يا ضرار صف لى عليا رضى الله عنه . قال أعفنى يا أمير المؤمنين . قال لتصفنه . قال : أما إذ لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد

---

(١) نهج البلاغة .

(٢) أمالى القالى ح ٢ ص ١٤٩ .

المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزيرَ العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن . كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه ، قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين . ويقول يا دنيا غرى غيرى . إلى تعرضت ؟ أم إلىَّ تشوفت ؟ ؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها . فعمرك قصير ، وخطرك حقير . آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن « وفى رواية أخرى فبكى معاوية ووكف دموعه على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه : وقد اختنق القوم بالبكاء ، وقال رحم الله أبا الحسن » . كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها فى حجرها .

أما بعد ، فهل كان معاوية يجهل عليا ويحتاج إلى من يصفه له ؟ كلا ! لقد كان معاوية يعرف عليا معرفة جيدة ولا يجهل شيئا من أخلاقه وعاداته .

ثم إنك ترى بعد ذلك أن معاوية ومن معه بكوا حتى كادوا

يختنقون من البكاء ، تدفقت دموعهم ، وانهمرت عَبَرَاتهم . ثم ترى معاوية يقول : رحم الله أبا الحسن .

وقد سبق لك أن عرفت أن معاوية كان يوصى عماله بأن يختتموا خطبهم فى المساجد بسب علىّ وآل بيته والترحم على عثمان والاستغفار له . قال معاوية للمغيرة « لا تتحم عن شتم علىّ وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علىّ والإقصاء لهم وترك الاستماع لهم وبإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع لهم » وقد قتل كثيرين ممن رفضوا أن يتبرأوا من علىّ .

فإذا من السهل علينا أن ندرك أن هذه القطعة موضوعة ، وقد أخفق واضعها فيما أراد ولم يوفق فيما سعى .

***

وقد أفرد ابن عبدربه فى كتاب العقد الفريد فصلا خاصا للوافدات على معاوية من نساء زعماء الشيعة اللاتى قتل أزواجهن فى الحرب ، ومن الوافدات عليه سودة ابنة عمارة ، وبكارة الهلالية والزرقاء ، وأم الخير بنت الحريش . وقد روى الشعبي أقوال هؤلاء النسوة مع معاوية ، وفيها مدح لعلىّ واعتذار لمعاوية وطلب الصفح والعفو . وتنتهى هذه الأقوال بأن يسأل معاوية كلا منهن عن حاجتها ويجزل لهن العطاء ويردهن إلى ديارهن إلا لمروى بنت عبد المطلب فإنها لم تسأله شيئا وانصرفت وهى غاضبة ناقمة ، ساخطة على الدهر مافعل بآل على . ونحن مضطرون إلى الشك فى صحة هذه الأقوال لأنها أتت عن طريق الشعبي وهو شيعى يكره الأمويين وقد خرج عليهم مع عبد الرحمن بن الأشعث

أيام الحجاج وعفا عنه بنو أمية أخيرا ، وبعض الشيعة مشهورون بالكذب والاختلاق . انظر إلى كثير حين يقول فى محمد ابن الحنفية :

هو المهـــدى خبرناه كعب   أخو الأحبار فى الحقب الخوالى

فلما قيل هل رأيت كعبا . قال : لا ، قيل له فلم قلت خبرناه كعب قال : بالتوهم .

وفضلا عما تقدم فإن الشعبى كان يشرب الخمر ، ولم يكن متمسكا بأهداب الدين والفضيلة .

ولعل من أروع ما أتى به صاحب العقد الفريد المناظرة بين المأمون والعلماء واحتجاجه عليهم فى فضل على . فقد روى أن المأمون جمع أربعين عالما من المتفقهين فى الدين وكان على رأسهم إسحاق بن إبراهيم ابن إسماعيل بن حماد بن زيد . وبدأ المأمون حديثه معهم بقوله « إن أمير المؤمنين يدين الله على أن على بن أبى طالب خير خلفاء الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأولى الناس بالخلافة له . » وهذه المناظرة طويلة وممتعة فليرجع إليها القارىء إن شاء . وهى من غير شك من وضع أحد دعاة الشيعة . وقد أورد ابن عبد ربه فى مكان آخر ما نصه « قال المأمون لعلى بن موسى : علام تدعون هذا الأمر ، قال : بقرابة على وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له المأمون : إن لم تكن إلا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من هو أقرب إليه من على أو من هو فى قعدده . وإن ذهبت إلى قرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الأمر بعدها للحسن والحسين ،

فقد أبتزهما على حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى على مالا حق له فيه فلم يجد على بن موسى جواباً » .

فالكلام الذى نسب إلى المأمون فى فضل على وإن كان من وضع الشيعة أنفسهم إلا أن الثابت أن المأمون كان يميل إلى العلويين ، وقد عهد بولاية العهد من بعده إلى على بن موسى الذى سبق ذكره ولكن هذا مات قبل أن يتولى مقاليد الأمور وقد ادعى الشيعة أنه مات مسموما ، وربما كان هذا صحيحا ، فلعل المأمون رأى رأيا ثم بدا له غيره فتخلص من على بأن دس له السم . والدليل على ذلك أن المأمون أجرى ولاية العهد بعد وفاة على فى العباسيين مع أنه كان قادرا على اختيار شخص آخر من العلويين لو أنه ثبت على رأيه الأول .

الفصل الثاني

خطباء الشيعة

الإمام على

مولده : ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة . وكانت ولادته بمكة بالكعبة . وفى ذلك يقول السيد الحميرى :

ولدته فى حرم الإله وأمنه　　والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة　　طابت وطاب وليدها والمولد
فى ليلة غابت نحوس نجومها　　وبدت مع القمر المنير الأسعد
مالف فى خرق القوابل مثله　　إلا ابن آمنة النبى محمد

ثقافته وتهذيبه : حفظ الإمام على القرآن حفظا جيدا ووعى الحديث وتفقه فى الدين ، وتأثر فصاحة الرسول وبلاغته ، كما وقف على كثير من شعر من سبقه من الشعراء ، فلا عجب أن كان فارساً من فرسان البلاغة ، وعلما من أعلام البيان . قال الأستاذ محمد حسن نائل المرصفى [(١)] « بهذه الخصال الثلاث — يعنى جمال الحضارة الجديدة ، وجلال البداوة القديمة ، وبشاشة القرآن الكريم — امتاز الخلفاء الراشدون . ولقد كان المجلى فى هذه الحلبة علىّ صلوات الله عليه . وما أحسبنى أحتاج فى إثبات هذا إلى دليل أكثر من نهج البلاغة ، ذلك الكتاب الذى أقامه

(١) فى مقدمة شرحه لنهج البلاغة .

الله حجة واضحة على أن عليا رضى الله عنه قد كان أحسن مثال حى لنور القرآن وحكمته ، وعلمه وهدايته ، وإعجازه وفصاحته » .

وقد سبق أن ذكرنا أن الخطب التى تنسب إلى على بن أبى طالب جمعت كلها فى كتاب ضخم سمى « نهج البلاغة » . والآن نريد أن نتكلم عن هذا الكتاب الذى هو أثر من أنفس الآثار التى تركها التشيع فى الأدب العربى .

نهج البــــلاغة

كان الكلام الذى ينسب إلى على مدونا فى كثير من الكتب . وقد بقى كذلك حتى جاء الشريف الرضى فحسن له بعض أصدقائه كما قال أن يجمع مايعزى إلى على من خطب ومواعظ وحكم ، وما صدر عنه من رسائل . قال فى مقدمة النهج : « وسألونى عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فى جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب ، علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية مالا يوجد مجتمعا فى كلام ولا مجموع الأطراف فى كتاب . . . فأجبتهم إلى الابتداء بذلك ، عالما بما فيه من عظيم النفع ، ومنشور الذكر ومذخور الأجر » .

ترتيب الكتاب : قال الشريف الرضى « ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله على الابتداء

باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب، مفردا لكل صنف من ذلك بابا، ومفصلا فيه أوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ماعساه يشذ عنى عاجلا، ويقع إلى آجلا. وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج فى أثناء حوار، أو جواب سؤال، أو غرض آخر من الأغراض فى غير الأنحاء التى ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الأبواب به، وأشدها ملاءمة لغرضه. وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة، ومحاسن غير منتظمة، لأنى أوردت النكت واللمع، ولا أقصد التتالى والنسق».

محتوياته : ضم كتاب نهج البلاغة بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاما و ٧٨ كتابا ورسالة و ٤٩٨ كلمة من روائع الحكم وجوامع الكلم.

شروحه : شروح هذا الكتاب تنيف على الخمسين. والمعروف منها الآن لدى الناس :

١ — شرح ابن أبى الحديد. وهو عبد الحميد بن هبة الله المدائنى المشهور بابن أبى الحديد. ولد عام ٥٨٦ هـ وتوفى عام ٦٥٦ هـ أهداه إلى الوزير ابن العلقمى رئيس الشيعة ببغداد فى ذلك الوقت، وفى أيام هذا الوزير زالت الخلافة العباسية من الوجود. وابن أبى الحديد وإن ادعى أنه معتزلى إلا أنى أشك فى هذا الإدعاء وأعتقد أنه كان شيعيا متعصبا. وقد طبع هذا الشرح بمصر عام ١٣٢٩ بمطبعة الحلبى. وهو أشهر الشروح التى ظهرت لهذا الكتاب.

٢ — شرح كمال الدين بن ميثم النجرانى. وهو من علماء القرن

السابع الهجرى . قضى شطرا من حياته ببغداد ، وقد جاء فى مقدمة شرحه « جعلت هذا الكتاب ، بعد كتاب الله وكلام رسوله ، مصباحا أستضىء به فى الظلمات ، وسلما أعرج به إلى طبقات السموات » وقد فرغ منه فى رمضان من عام ٦٧٧ هـ . وطبع ببلاد فارس سنة ١٢٧٤ هـ ويقع فى نحو أربعمائة صفحة من الحجم الكبير .

٣ — شرح ميرزا حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى الأزربجانى . وهو من علماء إيران . كان حيا فى عام ١٣٠٣ هـ . وقد أهدى شرحه إلى شاه إيران مظفر الدين خان . وهذا الشرح ضخم جدا فى أربعة أجزاء من الحجم الكبير يتألف كل جزء من أربعمائة صفحة . طبع ببلاد فارس عام ١٣٥١ هـ وأطلق عليه اسم « منهاج البراعة ومشرع الفصاحة » .

٤ — شرح الشيخ محمد عبده وهو لا يقاس بالنسبة لغيره من الشروح إذ اقتصر فيه صاحبه على إيضاح الصعب من المفردات .

* * *

لقد اهتم أدباء الشيعة بشرح هذا الكتاب اهتماما كبيرا ، وبالغوا فى الإسهاب والتطويل ، وملئوا شروحهم بالخرافات والخزعبلات التى تضحك الثكلى .

* * *

منزلته : ورد فى مقدمة شرح حبيب الله لكتاب نهج البلاغة مانصه « هو كتاب فى الاتقان تلو الفرقان ، لكونه مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلماته المشهورة على لسان المسلمين ، المشتملة على اثبات

الصانع ، وإظهار البدايع ، والتوحيد بالبرهان القاطع ، والبيان النافع والحكمة والموعظة الحسنة ، والقصص والأمثال » .

وقال محمد حسن نايل المرصفى : «اجتمع لعلى (ع) فى هذا الكتاب مالم يجتمع لكبار الحكماء ، وأفذاذ الفلاسفة ، ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة السامية ، وقواعد السياسة المستقيمة ، ومن كل موعظة باهرة ، وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر . خاض على فى هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين ، فكان فى كل هذه المسائل نابغة مبرزا . ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم، فليس فى وسع الكاتب المترسل ، والخطيب المصقع ، والشاعر المفلق أن يبلغ الغاية فى وصفه ، والنهاية فى تقريظه » .

وقال محمد عبده « تأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات . فكان يخيل لى فى كل مقام أن حروبا شبت ، وغارات شنت . وأن للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة ، وللريب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، فى عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج ، والقويم الأملج وتمتلج المهج برواضع الحجج ، فتفل من دعارة الوساوس ، وتصيب مقاتل الخوانس ، فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ومرج الشك فى خمود ، وهرج الريب فى ركود . وأن مدبر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين على ابن أبى طالب .

« بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع ، أحس بتغير المشاهد

وتحول المعاهد . فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح عالية ، فى حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية توحى إليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض النزال إلى جواد الفضل والكمال . وطورا كانت تنكشف إلى الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح فى أشباح النمور ومخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء . »

* * *

أما بعد ، فقد أتيت هنا بأقوال ثلاثة رجال فى كتاب نهج البلاغة وهى قطع مديح التى بغير حساب ظنا من كاتبيها أنهم يظفرون برضا الله ورسوله إن هم أزجوا هذا المديح . ولم يحاول أحد منهم أن يتناول النهج تناولا علميا يعود على القارىء بالنفع .

* * *

<u>بحث وتحقيق</u> : وقد رأيت لزاما على فى هذا المقام أن أتناول نهج البلاغة بالبحث والتحقيق سالكا فى ذلك سبيل العلماء الذين يفيدون القراء بما يقدمون لهم من حقائق ناطقة . أما هؤلاء الذين لا هم لهم إلا إرسال المدح والثناء فهمتهم هينة لينة ، فما أيسر أن تقول « هو كتاب فى الاتقان تلو الفرقان » ، وما أسهل أن تنمق فى مدحه الألفاظ كما نمقها الشيخان حسن نايل المرصفى ومحمد عبده . ولكن هذا لا يفيد القارىء فى كثير أو قليل . وبما أنى لم أخرج هذا الكتاب لأمدح فيه أو أقدح ،

بل حرصت فيه كما يرى القارىء على إظهار الحقائق وإبرازها ، لذلك لم أسر فى الطريق التى سار فيها هؤلاء المادحون .

* * *

صاحب النهج : فى كتاب نهج البلاغة أمور كثيرة تجعلنا نشك فى نسبة أكثر ما فيه إلى الإمام على . وهذا رأى سبقنا إليه القدماء . قال ابن أبى الحديد « كثير من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة . وربما عزوا بعضه إلى الرضىّ أبى الحسين وغيره » .

غير أن القدماء لم يشرحوا لنا أسباب الشك . أجل ! لقد أبدوا ارتيابهم ثم صمتوا . وقد رأيت لزاما علىّ أن أتناول أسباب الشك فى نسبة ما فى النهج إلى عَلِيٍّ بشىء من التفصيل .

* * *

أسباب الشك :

(أولا) سبق أن ذكرنا أن نهج البلاغة قد ضم بين دفتيه ٢٤٢ خطبة وكلاماً ، ٧٨ كتابا ورسالة ، ٤٩٨ حكمة. وهذا العدد الهائل لم يدون إلا فى العصر العباسى . وليس من شك فى أن حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعذرة . ومن هذه الخطب ما هو طويل جدا وليس من السهل وعيه وتذكر ألفاظه بعد أجيال . فقد بلغ عهد علىٍّ للأشتر النخعى مائتين وخمسين سطرا . وبلغت بعض خطبه مائتى سطر ، وبعضها ينقص قليلا عن المائتين . وإذا علمنا أن القرآن على عظيم خطره ، وجليل

شأنه كان مظنة أن يضيع لولم يتداركه المسلمون الأولون ، رأينا أنفسنا مسوقين إلى النظر بعين الارتياب فيما جاء منسوبا إلى على فى هذا الكتاب . وما الداعى إلى كتابة مثل هذا العهد المفرط فى الطول ولم يكن الأشتر غريبا عن على بل كان من أقرب الناس إليه . ولم يسبق أن كتب أحد من الخلفاء عهدا فى مثل هذا الطول ؟ ؟

(ثانيا) إذا ألقيت نظرة على الخطب المنسوبة لعلىّ لم تمالك نفسك من الضحك ، وذلك لما جاء فى كثير منها من أمور وقعت بعد عصر على كقيام الدولة الأموية ، وسقوطها والقضاء على الأمويين قضاء مبرما بغير رحمة ولا شفقة ، وقيام دولة بنى العباس ، وظهور الفتن والقلاقل وانتشار الحروب والثورات ، وترك الناس للدين وانغماسهم فى الترف والنعيم . وقد سبق لنا أن أوردنا مثالا لذلك عند الكلام على « انتحال القول » ولا نرى بأساً من أن نورد للقارىء مثالا آخر ليزداد إيمانا على إيمان إن لم يكن قد اطلع على النهج . فما ينسب إليه قوله « فوالذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدى مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها[1] وقائدها ، وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلا ، ويموت منهم موتا »

ألا إن أخوفَ الفتنِ عندى عليكم فتنةُ بنى أميةَ ، فإنها فتنةٌ عمياء مظلمة ، عمت خُطتها وخَصَّت بليتها ، وأصاب البلاءُ من أبصر فيها ، وأخطأ البلاءُ منْ عمى عنها . وايم اللهِ لتَجدُنّ بنى أميةَ لكم أربابَ سوءٍ بعدى كالنّابِ الضروس تَعذمُ بفيها ، وتَخبط بيدها ، وتَزبُنُ برجلها

(١) الداعى إليها .

★

وتمنعُ درَّها. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلاَّ نافعا لهم أو غيرَ ضائرٍ بهم. ولا يزالُ بلاؤهُمْ حتى لا يكونَ انتصـارُ أحدِكم منهم إلا كانتصارِ العبد من ربِّهِ ، والصاحِبِ من مُسْتَصْحِبِهِ. تردُ عليكم فتنتُهم شوهاءَ مَخْشِيَّةً ، وقِطَعا جاهلية ، ليس فيها منارُ هُدًى ، ولا علم يُرى ، نحن أهل البيت فيها بمَنْجَاةٍ ، ولسنا فيها بدعاة. ثم يفرجُها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومُهم خسفا ، ويسوقُهم عُنْفا ، ويسقيهم بكأسٍ مُصَبَّرَةٍ ، لا يعطيهم إلا السيف ، ولا يحْلِسُهُمْ إلا الخوف. فعند ذلك تودُّ قريشٌ بالدنيا وما فيها لو يرونني مَقاما واحدا ، ولو قَدْرَجَزْرِجَزُورٍ لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يُعطونني ».

وأنت واجد خطبا كثيرة من هذا النوع . وهي من غير شك موضوعة ومحمولة على الإمام عليّ الذي لم يكن علام الغيوب . فهل هذه الخطب بلغت من الإتقان ما يجعلها تلو الفرقان ؟؟ وهل ترى فيها ما رآه محمد عبده حين يقول « وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة في عقود النظام ، وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج ، والقويم الأملج وتمتلج المهج برواتع الحجج » فأين هو القويم الأملج ؟ ؟ وأين هي رواتع الحجج ؟؟

(ثالثاً) وأمر ثالث يجعلك تزداد شكا وارتيابا وهو أن كثيرا من الخطب اشتمل على علوم لم تعرف في المجتمع الإسلامي إلا بعد عصر عليّ بزمن طويل ، كدقائق علم التوحيد ، وأبحـاث الرؤية والعدل ، والتوسع في كيفية كلام الخالق وابتعاده عن صفات الجسم وكيفياته ، وتنزهه عن مجانسة مخلوقاته ، كما تناولت موضوعات وصفية لم يطرقها

مسلمون إلا فى عصور متأخرة كوصف النملة والخفاش والطاووس.
ومثال ذلك قوله من خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم « الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون. الذى لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن. الذى ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود: ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود. فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه. أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له، نفى[1] الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه وتعالى فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده. ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شىء لا بمقارنة وغير كل شىء لا بمزايلة. فاعل لا بمعنى الحركات والآلة . . . الخ ».

وفى هذه الخطبة اصطلاحات لم تعرف فى عصر الإمام علىّ، بل عرفت بعده بقرون، كما أن التعبيرات التى انطوت عليها هذه الخطبة لم تظهر إلا على أيدى علماء الكلام فى العصر العباسى. وعلاوة على ما تقدم فإنها رتبت ترتيبا منطقيا يبدأ بمقدمة تنتهى إلى نتيجة هى نفى الصفات عن الله، وهذا أمر كان موضع خلاف شديد بين الفرق الإسلامية ولم يعرف إلا فى أيام العباسيين. فهى بلا ريب موضوعة على الإمام علىّ، وهى ليست

(١) هذا كلام أرسطو الذى لم يعرف إلا بعد عصر الترجمة.

فى الإتقان تلو الفرقان ، ولا أجد فيها ما وجده محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذى يمتلج المهج بروائع الحجج .

(رابعا) وأمر رابع يجعلك تمعن فى الشك وتسرف فى الارتياب وهو أنك تجد فى خطب كثيرة روحا غريبا عن الإسلام ، فيها تناقض مع أحكام الدين الحنيف وأصوله ، وفيها روح ضار جدا بالمجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية . ترى فيها دعوة إلى الرهبنة وترك ما أحلّ الله من الطيبات فى هذه الحياة الدنيا . ومثال ذلك قوله يخاطب شخصا يسمى « نوفا » طوبى للزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة . أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا ، وترابها فراشا ، وماءها طيبا ، والكتاب شعارا ، والدعاء دثارا ، وقرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح بن مريم فإن الله عز وجل أوحى إلى عبده المسيح بن مريم أن مر بنى اسرائيل ألا يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بقلوب طاهرة ، وأبصار خاشعة ، وأيد نقية . فإنى لا أستجيب لأحد منهم دعوة لأحد من خلقى قبله مظلمة . يانوف لا تكونن شاعرا ولا عشارا[1] ولا شرطيا ولا عريفا[2] ولا صاحب كوبة[3] ولا صاحب عرطبة »[4]

وليس من المعقول أن يصدر مثل هذا القول من علىّ . وكيف ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء ، وهو نفسه كان شاعرا ونسب إليه ديوان مشهور بين الناس ؟ ؟ كيف ينهى الناس عن أن يكونوا شعراء والإسلام أباح لهم ذلك ، والنبى كان ممن يطربون للشعر ويحرضون

---

(١) الذى يجمع العشور .
(٢) منصب دون الرئيس .
(٣) الكوبة الطبل .
(٤) عرطبة : العود وهو من آلات الطرب .

على قوله ؟؟ وكيف ينهى علىّ الناس عن أن يكونوا عشارين أو من رجال الشرطة ؟ ؟ ومن يجمع أموال الدولة ومن يسهر على حفظ الأمن والنظام فيها ؟ ؟ وفى هذه الخطبة تحريض على قرض الدنيا على منهاج المسيح بن مريم . وما شأن المسلمين بمنهاج المسيح ولهم من سنة رسولهم خير مرشد وأفضل دليل .

لا شك فى أن نسبة مثل هذه الخطبة للإمام علىّ تحط من شأنه، وتضع من منزلته . ونحن نجل الإمام عليا وننزهه عن قول مثل هذه الخطب التى لا أرى أنها فى الإتقان تلو الفرقان . ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذى يمتلج المهج بروائع الحجج .

(خامسا) وأمر خامس يجعلك تجزم بأن جل ما فى النهج ليس لعلىّ وهو الاختلاف العظيم فى أساليب الخطب . ترى كلاما مرسلا على سجيته بغير تكلف ولا تصنع ومثال ذلك قوله من إحدى خطبه « أنبئت بسرا قد اطلع اليمن ، وإنى والله لأظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبمعصيتكم إمامكم فى الحق ، وطاعتهم إمامهم فى الباطل . . . الخ » .

على حين أنك ترى له نوعا آخر من الخطب يظهر فيه آثار الصنعة والتكلف المرذول ، والحرص الشديد على السجع وغير ذلك مما لم تعرفه العرب فى عصر علىّ ، بل عرف فى عصور متأخرة جدا ومثال ذلك ما ينسب إليه « الحمد لله المعروف من غير رؤية ، والخالق من غير روية . الذى لم يزل دائما قائما إذ لا سماء ذات أبراج ،

ولا حجبٌ ذات أرتاج ، ولا ليلٌ داج ، ولا بحرٌ ساج ، ولا جبل ذو فجاج ، ولا فجٌ ذو إعوجاج ، ولا أرضٌ ذات مهاد ، ولا خلقٌ ذو اعتماد . »

وقوله فى وصف السماء « ونظم بلا تعليق رهوات فُرُجِها ولاَحَمَ صدوع انفراجها ، ووشج بينها وبين أزواجها ، وذلل للهابطين بأمره ، والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها ، ناداها بعد إذ هى دخان فالتحمت عرى أشراجها . »

وانظر إلى الحرص على الجناس فى قوله « أرسله لإنفاذ أمره ، وإنهاء عذره ، وتقديم نذره ، وأحصاكم عددا ، ووظف لكم مددا ، فى قرار خبرة ، ودار عبرة . غرور حائل ، وضوء آفل ، وظل زائل ، وسناد مائل » .

ثم تأمل قوله « فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الأمور بعد مرارتها ، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها ، وأسهلت له الصعاب بعد انصبابها ، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها ، وتفجرت عليه النعمة بعد نضوبها ، ووبلت عليه البركة بعد رذاذها . » ترى فقرا متساوية فى عدد كلماتها وفى التزام كلمة « بعد » فى كل منها واشتمال كل فقرة على طباق ، فضلا عن أنها تدور كلها حول معنى واحد . فالآثار الأدبية التى وصلت إلينا من عصر علىّ تختلف عن هذا النمط المتكلف اختلافا كبيرا وتبتعد عنه ابتعادا ظاهرا . وهذا شىء يرغمنا على رفض نسبة

تلك الخطب إلى الإمام على ، وهى ليست تلو الفرقان فى الإتقان ، ولا أرى فيها ما رآه محمد عبده من الصفيح الأبلج ، والقويم الأملج الذى يمتلج المهج بروائع الحجج .

(سادسا) وأمر سادس يدفعك إلى رفض كثير مما ينسب لعلىّ ، وهو أنك ترى خطبا كثيرة فيها وصف للحياة الاجتماعية على نحو لم يعرف إلا فى عصور متأخرة . ترى فى هذه الخطب طعنا على الوزراء والأمراء والحكام والولاة والعلماء والقضاة ، طعنا شديدا فى السلوك والأخلاق وفى الذمم والضمائر ، ووصفا للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة . ومثال ذلك ما ينسب إليه « إنَّ أبغضَ الخلائقِ إلى اللهِ رَجُلانِ : رَجلٌ وَكَلَهُ اللهُ إلى نفسِه ، فهو جَائِرٌ عن قَصْدِ السَّبِيل ، مَشْغُوفٌ بكلامِ بِدْعَةٍ ، ودُعَاءِ ضَلاَلَةٍ . فَهُو فِتْنَةٌ لمنْ افْتَتَنَ به ، ضَالٌّ عَن هَدْيِ مَنْ كان قبلَه ، مُضِلٌّ لمن اقْتَدَى بِهِ فى حياتِه وبعدَ وفاتِه ، حَمَّالٌ خَطَايا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ . ورَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً ، مُوضِعٌ فى جُهَّالِ الأُمَّةِ ، عادٍ فى أَغْبَاشِ الفِتْنَةِ ، عَمٍ بما فى عَقْدِ الهُدْنَةِ . قد سَمَّاهُ أَشْبَاهُ الناس عَالِما وليسَ به . بَكَّر فاسْتَكْثَرَ مَن جَمْعٍ ماقَلَّ منهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، حتى إذا ارْتَوى من آجِنٍ واكْتَنَزَ من غَيْرِ طَائِلٍ ، جَلَسَ بَيْنَ الناسِ قاضِيا ضَامِنا لِتَخْلِيصِ ما الْتَبَسَ على غَيْرِه . فإنْ نَزَلَتْ به إحدى المُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لها حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ به . فَهُوَ مِن لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فى مثل نَسْجِ العَنْكَبُوتِ لا يَدْرِى أَصَابَ أم أَخْطَأَ . فإنْ أَصَابَ خَافَ أن يكونَ قد أَخْطَأَ ، وإن أَخْطَأَ رَجَا أن يكُون قد

أصابَ ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جهالاتٍ ، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ ، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ ، يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الهشيم ، لا مَلِئٌ واللهِ بإصْدَارِ ما وَرَدَ عَلَيْه ، ولا هُوَ أَهْلٌ لَمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ . لا يَحْسب العلمَ فى شيءٍ مما أنكره ولا يرى أنَّ من وراءِ مابلغَ مذهبا لغيره . وإنْ أظلمَ أمرٌ اكتَتَمَ به لما يعلَم من جهل نفسه . تصرُخُ من جَوْرِ قضائِه الدماءُ وتعجُّ منه المواريثُ . إلى اللهِ أشكو من معشرٍ يعيشونَ جهالا ويموتون ضلالا ، ليس فيهم سلعةٌ أَبْوَرَ من الكتابِ إذا تُلِيَ حقَّ تِلاوتِه ، ولا سلعة انفق بَيْعا ولا أغلَى ثمنا من الكتابِ إذا حرِّف عن مواضِعه . ولا عندهم أنكرَ من المعروف ، ولا أعرفَ من المنكر » .

ومما ينسب إليه وفيه وصف لحالة الفوضى التى كان عليها القضاء وهو أمر لم يعرف إلا فى العصر العباسى « تردُ على أحدِهم القضيةُ فى حكم من الأحكامِ فيحكم فيها برأيه ، ثم تردُ تلك القضية بعينها على غيره فيحكمُ فيها بخلافه ، ثم يجتمع القضاةُ بذلك عند الإمامِ الذى استَقْضاهُم فيصوبُ آراءهم جميعا . وإلٰهُهُم واحد ، ونبيُّهم واحد . وكتابُهم واحد . أفأمَرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصَوْه ؟ أم أنزلَ اللهُ سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم كانوا شركاءَ فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى . . . الخ » فإذا علمت أن القضاة فى أيام علىّ كانوا من الصحابة ، ولم يكن هناك أئمة يجتمعون إليهم إلا أبو بكر وعمر وعثمان . ولم يكن هناك آجن يرتوون منه ، بل لم يكن لديهم سوى القرآن ، ولم يظهر هذا الاختلاف العظيم الذى نرى صورته فى هذه الخطب ، قطعت بأنها من وضع قوم عاشوا بعد علىّ بزمن

طويل ، وكتبوا ما كتبوا ثم نسبوه إلى على اعتقادا منهم بأن فيها ما يرفع شأنه ويسمو بمنزلته . وهى من غير شك ليست فى الإتقان تلو الفرقان . ولم أجد فيها ما وجده محمد عبده من الصفيح الأبلج والقويم الأملج الذى يثلج المهج بروائع الحجج .

(سابعا) وأمر سابع يسلمك إلى الريبة فى هذا الكتاب . ترى فيه خطبا كثيرة تروى أمورا لا يقبلها العقل من شأنها لو صحت أن تؤيد حق على فى الخلافة . ومثال ذلك ما ينسب إليه : «ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحى عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت يارسول الله ما هذه الرنة ، فقال هذا الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبى ، ولكنك وزير ، وإنك لعَلى خير» .

وقوله : «ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن رأسه لعلى صدرى . ولقد سالت نفسه فى كفى فأمررتها على وجهى ، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج ، وما فارقت سمعى هينمة منهم يصلون عليه ، حتى واريناه فى ضريحه ، فمن ذا أحق به حيا وميتا» .

وأظن أن القارىء سيضحك معى حينما يقرأ «إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبى ولكنك وزير ، وإنك لعلى خير» . ومعنى هذا أن علياً كان يسمع الوحى كما يسمعه الرسول ويراه كما يراه الرسول لكنه ليس بنبى وإنما هو وزير ، ولا أدرى ماوظيفة الوزير هنا وما عمله ؟ . ولا شك فى أنك ستغرق فى الضحك حينما تقرأ «ولقد

وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى فضجت الدار والأفنية ، ملأ يهبط وملأ يعرج » ، فالملائكة هنا قد نزلوا من السماء أفواجا يساعدون الإمام عليا فى مهمته وهى غسل رسول الله . ولا جدال فى أن عليا أعقل بكثير من أن يرسل مثل هـذا القول . وليس فى نسبته إليه مايشرفه . وكيف يقال بعدئذ إن نهج البلاغة فى الاتقان تلو الفرقان؟ وهل فى مثل هذا رأى محمد عبده الصفيح الأبلج والقويم الأملج يمتلج المهج بروائع الحجج ؟ .

(ثامنا) وأمر ثامن يجعلك ترتاب فيما جاء بنهج البلاغة منسوبا إلى الإمام علىّ . وهو أنك تجـد خطبا طال فى صدرها حمد الله ، وهذه عادة لم تعرف إلا فى العصر العباسى فى خطب الجمع والأعياد التى تلقى فى المساجد ، ولم تظهر قط فى أيام على . ومثال ذلك « الحمد لله كلما وقب ليل وغسق ، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق ، والحمدلله غير مفقود الإنعام ولا مكافىء الإفضال » وغير هذا كثير .

(تاسعا) وأمر تاسع يريبك فيما ورد منسوبا لعلىّ فى نهج البلاغة وهو أنك تجد خطبا فيها ذكر الوصى والوصاية ، مع أن عليا لم يقل هذا قط ولم تظهر خرافة الوصى إلا بعد مقتله . ومثال ذلك قوله وقد عنى آل البيت « هم أسـاس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم يفىء الغالى ، وبهم يلحق التـالى ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة » ، وقوله « ومالى لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها !. لايقتصون أثر نبى ولا يقتـدون بعمل وصى » ، فهل كانت فى عصره تلك الفرق التى يشير إليها ؟ أم أنها ظهرت بعده بزمن غير قصير ؟

(عاشرا) وأمر عاشر يقودك إلى الريبة فى نسبة ما جاء فى النهج إلى على ، وهو أنك تجد خطبا فيها معنى واحد عبر عنه بما يزيد على عشر جمل ومثال ذلك قوله : « لا انفصام لعروته ، ولا فك لحلقته ، ولا انهدام لأساسه ، ولا زوال لدعائمه ، ولا انقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه ، ولا جذ لفروعه ، ولا ضنك لطرقه ، ولا سواد لوضحه ، ولا عوج لانتصابه ، ولا عصل [1] فى عوده ، ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ، ولا مرارة لحلاوته » فهذا إسهاب ممل وإسفاف لا فائدة منه ولا خير فيه ، وهو مما لم يعرفه المسلمون الأولون .

فى الميزان : أما بعد ، فقد وضعنا نهج البلاغة أمامك فى الميزان ، وأطلعناك على مايشككنا فى نسبة أكثر ماجاء فيه إلى علىّ ، وضربنا للناس الأمثال لعلهم يقتنعون . وهناك خطب قليلة باقية فيها روح على ولكنها لم تسلم من التحريف والتصحيف والتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ، وذلك أمر طبيعى فى كل ماتأخر تدوينه من الخطب والرسائل وإنك لجد هذه الخطب القليلة رويت بروايات فيها اختلاف كبير .

أما الأمثال والحكم فمعظمها هندى وفارسى عرفه العرب بعد عصر الترجمة . ولا أدرى كيف نسبوها إلى علىّ ؟ .

---

(١) التواء .

خطباء آخرون

كان أئمة الشيعة ينشرون دعوتهم بين الناس سرا ، فلم يجدوا أمامهم مجالا للقول فيقولوا ، ولا محلا للخطابة فيخطبوا . ولم يظهر بعد على من الخطباء سوى الحسن والحسين . وجل ماينسب إليهما موضوع - وليت شعرى من الذى روى خطبة الحسين فى كربلا وقد استشهد كل من معه من الرجال ، ؟ ؟ .

ولفاطمة خطب تنسب إليها وقد رووا عنها كثيرا من الأحاديث ، ولعلى بن الحسين رسالة تعرف برسالة الحقوق .

وعلى الجملة فقد اجتهد أدباء الشيعة فى وضع الخطب والرسائل وجمع الحكم والأمثال والأدعية ونسبتها لأئمتهم .

الباب الثالث

الفصل الأول

فى الشعر

انتحال الشعر

نشط أدباء الشيعة نشاطا عظيما فى وضع الشعر الذى يرفع من شأنهم ويقوى من دعائم مذهبهم ، ويحط من شأن أعدائهم . وأجروا هذا الشعر على ألسنة أئمتهم وعلى ألسنة قوم آخرين . وقد كثر ذلك الشعر حتى شغل مكانا بينا فى الأدب العربى . وكانوا أحيانا يزيدون فى قصائد بعض الشعراء ما يؤيد رأيهم ويدعم حجتهم فى الخلافة وحق علىّ فيها . وقد ظهر هذا الانتحال فى مظاهر مختلفة .

(١) شعر أبى طالب

لقد وضعوا كثيرا من القصائد ونسبوها إلى أبى طالب ليثبتوا بذلك إسلامه ، وحسن بلائه فى الدين ودفاعه عن النبى وحمايته له ، وجهاده فى سبيل الإسلام ، فمما ينسب إليه قوله :

ولما رأيتُ القَوْمَ لا وُدَّ فيهم　　وقد قَطَّعوا كلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأذَى　　وقد طَاوَعُوا أمرَ العدُوِّ المزايلِ

ومنهـا :

كذَبْتمْ وبيتِ اللهِ نُبزى محمدا ولـما نطاعنْ دونهُ ونُناضِلِ
ونسلمه حتى نُصَرَّعَ حولَه ونذهلَ عن أبنـائنا والحلائلِ
وينهـضَ قومٌ بالحـديدِ إليكمُ
نهوضَ الرَّوَايا[1] تحتَ ذاتِ الصّلاصلِ[2].

ومنها :

وأبيضَ[3] يُستَسقَى الغمامُ بوجههِ ثمالَ[4] اليتـامى عصمةً للأراملِ
يَلوذُ به الهلاكُ[5] من آل هاشمٍ فهُمْ عندَه فى رَحْمَةٍ وفواضِلِ
ونحنُ الصَّميمُ من ذُؤابَةِ هاشمٍ وآلِ قُصَيٍّ فى الخُطُوبِ الأوائلِ
وسهمٍ ومخزومٍ تمالَوا فألَّبوا عَلَيْنَا العِدَا من كلِّ طَمْلٍ وخاملِ
فعبدَ منافٍ أنتمُ خيرُ قومِكُم فلا تُشرِكُوا فى أمْرِكُم كلَّ واغلِ

وهى طويلة أورد منها ابن هشام أربعة وتسعين بيتا ثم قال : « هذا ما صح لى من هذه القصيدة . وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها » .

ومثال آخر مما ينسب إلى أبى طالب .

واللهِ لن يَصِلوا إليك بجمْعِهم حتى أُوَسَّـد فى الترابِ دَفينا
فاصدَعْ بأمرِكَ ماعليكَ غضاضةٌ وانْشُرْ بذَاكَ وقَرَّ مِنكَ عُيونا

---

(١) جمع راوية وهو البعير أو البغل .

(٢) وذات الصلاصل هى المزادة التى ينقل فيها الماء ، والصلاصل جمع صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء فى الاداوة .

(٣) كريم . (٤) العماد . (٥) الفقراء والصعاليك .

ودعَوْتَنى وزَعمتَ أَنَّكَ ناصِحٌ ... فلَقَدْ صَدَقْتَ وكُنْتَ قَبْلُ أَمِينا

وعَرَضْتَ دِينا قد عَرَفْتُ بأنَّهُ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيانِ البَرِيَّةِ دِينا

لولا المخافةُ أنْ يكونَ مَعرةً ... لَوَجَدْتَنى سَمْحا بذاكَ أَمِينا

فنى هذا الشعر تكلف ظاهر وتصنع واضح . ترى فيه أبا طالب يظهر استعداده للموت فى سبيل الرسول ويأمره بالاستمرار فى نشر الدين فى غير خوف ولا وجل ويعترف له بالصدق فى دعواه ويقر بأن الإسلام من خير أديان البرية دينا . هو يعترف بذلك كله ويؤمن به ولكنه لا يعتنق الإسلام خشية العار . وأى عار هذا الذى خشيه أبو طالب ولم يخشه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وغير هؤلاء من عظماء قريش وغير قريش . لو أن أبا طالب آمن حقا كما يظهر من هذا الشعر ، لجاهر بذلك ولأعلن إسلامه كما أعلنه غيره من قبل ومن بعد . وكيف يخشى المؤمن الناس والله أحق أن يخشاه ؟ ؟

(٢) شعر على

ونظموا شعرا كثيرا ونسبوه إلى الإمام على . ومثال ذلك ماروى من أن معاوية كتب إلى على رسالة جاء فيها .

إن[١] لى فضائل كثيرة ، كان أبى سيدا فى الجاهلية ، وصرت ملكا فى الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخال المؤمنين وكاتب الوحى . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أبالفضائل تفتخر علىّ يابن آكلة الأكباد ؟ أكتب إليه يا غلام .

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٤ ص ٤٨ .

محمدٌ النبيُّ أخي وصِهري وحمزةُ سيِّدُ الشهداء عمّي
وجعفرٌ الذي يُضْحِي ويُمْسِي يَطيرُ مع الملائكةِ ابنُ أُمّي
وبنتُ محمدٍ سكَني وعرسِي مشوبٌ لحمُها بدمِي ولحمِي
وسبْطا أحمـــدٍ ولدايَ منها فأيكُمُ له سهمٌ كسهمِي
سبقْتُكُمُ إلى الإسلامِ طرا صغيرا ما بلَغْتُ أوانَ حُلمِي
وأوْصانِي النبيُّ على اختيارٍ ببَيْعتِه غَداةَ غـديرِ خُمِّ
فـــويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لمن يلقَى الإلهَ غداً بظُلْمِ

قال[1] أبو عثمان المازنى : لم يصح عندنا أن على بن أبى طالب عليه السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين :

تلكم قريشٌ تمنانى لتَقْتُلَنى ولا وجَدِّكَ ما بَروا وما ظَفِرُوا
فإن هَلَكْتُ فرهنٌ ذمّتى لهُمُ بذاتِ رَوْقينِ[2] لا يَعْفو لها أثَرٌ

وحكى عن يونس النحوى أنه قال : ماصح عندنا ولا بلغنا أنه قال شعرا إلا هذين البيتين . ولكن صاحب الأغانى[3] ذكر فى ترجمة حسان ابن ثابت مايفيد أن عليا كان يقول الشعر . قال «كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ، فقال على رضى الله عنه : إن أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٤٦ . (٢) يقال داهية ذات روقين أوذات ودقين إذا كانت عظيمة (٣) الأغانى ج ٤ ص ١٣٧

فعلت ، فقال رجل : يارسول الله ، ائذن لعليٍّ كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .

وأقول ربما كان علي يقول البيت أو البيتين من حين إلى حين ، ولكنه لم يكن كفؤا للوقوف أمام شعراء المشركين . وإن الذى سأل عليا هجاء المشركين كان يجهل مكانة علي فى الشعر وظنه قادرا على الرد على المشركين . ونرى علياً يقول لمن سأله : إن أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فكأنه كان واثقا من أن الرسول لن يأذن له بذلك وقد تحقق ظنه ، فقال النبي عنه « ليس عنده ذلك » .

وعلى كل ، فمن المحقق أن الشعر الذى وصلنا منسوباً لعليّ ليس له ، وإنما هو من وضع نفر من أدباء الشيعة ، وجل شعره الذى ينسب إليه ، ضعيف الأسلوب والتركيب ، واهى النسج والتأليف ، يدرك المرء لأول وهلة أنه وضع فى عصور متأخرة . فالفرق عظيم بين أسلوب هذا هذا الشعر ، وأسلوب الشعر فى أيام على بن أبى طالب . ولو أنك تأملت فى هذه القصيدة التى مرت بك لأيقنت أنها ليست لعليّ لا سيما البيتين الأخيرين منها . فعليّ يقول إن النبي اختاره وصيا على المسلمين من بعده ، ولو أن الأمر كان كما قال لسلم له المسلمون بالخلافة ، ولما نازعه فيها أحد . ولكن قصة غدير خم خرافة اختلقها الشيعة بعد عصر على وأسندوها إلى ابن عباس . « قالوا : روى ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن آية « يأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك » نزلت فى عليّ كرم الله تعالى وجهه حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يخبر الناس بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : حابى ابن عمه وأن يطعنوا

فى ذلك عليه . فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية ، فقال بولايته يو
غديرخُم « وهو موضع بين مكة والمدينة » وأخذ بيده فقال عليه الصلا
والسلام : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، و
من عاداه . »

لا ريب فى أن هذه أسطورة وضعها الشيعة وتكلفوا فى وضـ
شططا ، فرموا النبي بالجبن والخوف وما نعلم عنه ذلك ، لأن سيرته عل
السلام المثل الأعلى فى الشجاعة والإقدام . ولم يكن النبي ليخشى النا
والله أحق أن يخشاه . وكيف يأمر الله رسوله بإخبار الناس بولاية ع
ويتقاعس النبي عن هذا التبليغ ؟ ؟ ولم لم يذكر الله عليا فى القرآ
صراحة إن أراد ولايته ؟ ؟ .

* * *

والشعر المنسوب لعلى مجموع فى ديوان مطبوع ومتداول بين النا
وقد اهتم كثير من أدباء الشيعة بجمعه وطبعه . ولنضرب للقارىء مث
آخر مما ينسب لعلىّ .

نصرَ الحجارةَ من سفاهةِ رأيِهِ ... ونصرتُ ربَّ محمد بصَوابِ
فصدَدْتُ حينَ تركتُهُ متجدِّلاً ... كالجذعِ بين دَكادِكٍ وروابِى
وعففتُ عن أثوابِه ولو اننى ... كنتُ المقَطّر بَزّنى أثْوابِى
لا تحسبَنَّ الله خاذلَ دينهِ ... ونبيِّه يا معشرَ الأحْزابِ

قال ابن هشام : « وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فى نسبتها لعلى ب
أبى طالب » وقد أورد ابن هشام فى سيرته قصائد كثيرة تنسب لعلىّ
عقب على كل منها بمثل ما عقب على تلك القصيدة .

ولا أرى بأسا من أن أضع بين يدى القارىء مثلا ثالثا وهو قوله :

مالا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ — أبدا وما هو كائنٌ سيَكونُ
سيكونُ ماهو كائنٌ فى وقته — وأخو الجهالةِ متْعَبٌ محزونُ
يسعَى القوىُّ فلا ينالُ بسعْيِه — حظًّا ويدركُ عاجزٌ موهونُ

فهذا كلام فى القدر لم يعرفه المسلمون الأولون إنما عرفوه عند بدء ظهورُ علم الكلام ، وهذا بعد علىّ بزمن طويل . ثم إن هذا نظم وليس بشعر . هو نظم العلوم الذى لم يظهر إلا فى أيام العباسيين .

وآخر مثل أسوقه للقارىء هو ما روى من أن عليا سمع ناقوسا يضرب فقال لمن معه ، أتدرون ما يقول هـذا الناقوس ، قالوا لا ، قال فإنه يقول :

نِلنَا الدنْيَا فاستَهْوتْنَا — وأذَلّتْنَا
واستَلَبتْنَا لسنا ندرى — فيها إلا لَوْ قَد مُتْنَا
واستَبْدلنا دارا تَبْقَى — جهلا منا دارا تَفْنَى
يا ابْنَ الدنْيَا زنْ بالدنيا — وزنا وزنا وزنا وزنا
يا ابْنَ الدُّنيا تَفْنَى الدُّنيا — قرنا قرنا قرنا قرنا

وهذا أسلوب غريب لم يألفه المسلمون الأولون الذين كانوا يرسلون القول على أشد ما يكون قوة ومتانة وروعة وجلالة . أما هذ الشعر الضعيف المبتذل الذى يكرر فيه صاحبه الألفاظ إلى درجة الإسفاف ، والذى يصنعه صاحبه ويجهد نفسه فى صنعته ، ويتكلفه ويتعب نفسه فى تكلفه فلم يخلق إلا فى أواخر أيام بنى العباس . وقد رتب واضع هـذا

الشعر المقدمة ومهد لشعره بقصة صغيرة فجعل عليا يمر ويسمع ناقوسا ويسأل أصدقاءه عما إذا كانوا يعرفون ما يقول هذا الناقوس فيردون عليه بالنفى ، عندئذ يخبرهم بما يجهلون بتلك الأبيات التى قدمناها .

وعلى الجملة فكل ماجاء فى ديوان علىّ بن أبى طالب يمكن أن يرفض كما رفضنا ما تقدم .

(٣) على ألسنة أعدائهم

ووضعوا شعرا كثيرا فيه إعلاء من شأن على وإشادة بشجاعته وإقدامه . واعتراف بحقه فى الخلافة ، وأجروا هذا الشعر على ألسنة أعدائهم . فمن أمثلة ذلك ما ينسب إلى غلام من بنى ضبة كان يحارب فى صفوف عائشة وهو :

نحن بنى ضبة أعداء على ... ذاك الذى يعرف قدما بالوصى
وفارس الخيل على عهد النبى ... ما أنا عن فضل على بالعمى
لكننى أنعى ابن عثمان التقى ... إن الولى طالبٌ ثأر الولى

فأنت ترى فى هذا الشعر اعترافا صريحا بحق على فى الوصاية ، وإشادة بمزاياه وفضله وما وهبه الله من حميد الصفات وكريم الخلال التى لم يستطع هذا الفتى الذى كان يحارب ضد على أن يتناساها ، بل جاهر بها فى شعره . ولو أن قائل هذا الشعر كان يؤمن بحق على فى الخلافة ويقر بفضله لما حارب ضده مع قوم كانوا يريدون إهلاكه والقضاء عليه والظفر به . ومن هنا تستطيع أن تدرك أن هذا الشعر من وضع الشيعة أنفسهم .

ولنضرب للقارىء مثلا آخر . قيل أن عمرا تعرض لعلى فى يوم من أيام صفين ، فحمل عليه علىّ حملة كاد يقضى عليه ، عندئذ ألقى عمرو بنفسه من على فرسه ورفع ثوبه ، وشغر برجله فبدت عورته فصرف علىّ وجهه عنه ، وقام معفرا بالتراب هاربا على رجليه ، معتصما بصفوفه .

فقال معاوية :

ألا للهِ من هفوات عمروٍ ... يُعاتِبُنِي على تَرْكِي بِرَازِى .[1]

فقدْ لاَقى أبا حسنٍ عليًّا ... فآب الوائِلىُّ مآبَ خازِى

فلو لم يُبْدِ عورته للاقىَ ... به ليثا يذلِّل كلَّ نَازِى

له كفٌّ كأنَّ براحتَيْها ... منايَا القومِ يخطِفُ خطفَ بَازِى

قيل فغضب عمرو وقال : ما أشد تعظيمك عليًّا فى أمرى هذا . هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه . أفترى السماء قاطرة لذلك دما .

قال ولكنها تعقبك جبنا . ولما شمت معاوية بعمرو قال عمرو فى ذلك .

معاوىَ لا تَشْمتْ بفارسِ بُهْمةٍ ... لَقِيَ فارسا لا تَعْتَرِيه الفوارسُ

معاوِى إن أبصرتَ فى الخيلِ مُقْبِلا ... أبا حسنٍ يَهْوِى دَهَتْكَ الوَسَاوسُ.

وأَيْقَنْتَ أنَّ الموتَ حقٌّ وأنه ... لنفسِك إن لم تمضِ فى الركضِ خالسُ

فإنَّك لو لاقَيْته كنتَ بُومةً ... أُتِيحَ لها صقرٌ من الجوِّ آنِسُ

وماذا بقاءُ القومِ بعد اختِباطِه ... وإنَّ أمرأً يلْقَى عليًّا لآيِسُ .

دعاك فصَمت دونه الأذنُ هاربا ... بنفسك قد ضاقَتْ عليكَ الأمَالِسُ

وتشْمَت بى أن نالَنِي حدُّ رمحِه ... وعَضْعَضَنِي نابٌ من الحربِ ناجِسُ.

---

(١) روى أن عليا طلب من معاوية أن يخرج لمبارزته فرفض .

أَبى اللهُ إلا أنه ليثُ غابةٍ أبو أَشْبُلٍ تُهْدَى إليهِ العرائِسُ

وروى أن معاوية حرص بعض الناس على لقاء عليّ ومبارزته والقضاء عليه ، فقال فى ذلك الوليد بن عقبة :

يقولُ لنا معاويةُ بن حربٍ أما فيكم لواتِرِكم طَلوبُ
يَشدُّ على أبى حسنٍ عليٍّ بأسمرَ لا تُهَجِّنُه الكعوبُ
ليشجُرَه بأبيضَ مَقْضَبِيٍّ ونَقْعُ الحربِ مطرِدٌ يؤوبُ
فقلتُ له أتلعَبُ يا ابنَ هندٍ كأنَّك بَيْننَا رجلٌ غريب
أَتُغْرِينَا بِحَيَّةِ بطنِ وادٍ أُتيحَ له به أَسَدٌ مَهيبُ
بأَضعَف حيلةٍ منا إذَا مَا لَقِينَاهُ ولُقيَاهُ عجِيبُ
سوى عمروٍ وقتْه خُصْيَتَاه وكان لِقَلْبِه منه وجِيبُ
كأنَّ القومَ لما عاينُوه خلال النقْعِ ليس لهم قلوبُ
كعمرو أىْ معاويةَ بن حرب وماظَنِّى سَتَلْحقُه العُيُوبُ
لقد نادَاه فى الهيجا علىٌّ فأَسمَعَه ولكن لا يُجِيبُ

أما بعد ، فلو أن أحد شعراء الشيعة أراد الإشادة بشجاعة على لما استطاع أن يقول أكثر من هذا ، وليس من المعقول أن يقابل عمرو عليا فيكشف أولها عورته ، عند مايحس بخطر الموت ، لينجو بنفسه من الهلاك المحقق . ليس معقولا أن يصدر هذا من رجل فى مركز عمرو بن العاص . وأبعد من هذا أن يعيره معاوية بتلك الحادثة . وفضلا عما تقدم فإن معاوية لم يكن شاعرا .

وإنك لتجد فى شرح ابن أبى الحديد[1] كثيرا من القصائد التى تنسب إلى معاوية وعمرو بن العاص وابن عباس والوليد بن عقبة . وكل هذه القصائد فيها مدح كثير للإمام ، وتعظيم لشأنه تعظيما فيه مبالغة وإسراف . وهذا شىء لا ينتظر من قوم عرفوا بشدة بغضهم لعلى ، والإمعان فى الكيد له ، والتقليل من خطره ، والتهوين من أمره ، والحط من شأنه .

وقد أسرف أدباء الشيعة فى وضع مثل هذه القصائد حتى أنهم وضعوا شعرا ونسبوه إلى جبريل . روى أن الناس فى غزوة أحد ، لما تفرق المسلمون عن النبى ووقف على يذود عنه ويرد عادية المشركين ، سمعوا صائحاً يصيح فى السماء بهذا البيت .

لا سيفَ إلا ذُو الفقا . رِ ولا فتًى إلا عَلِى

فسألوا النبى فقال ذاك جبرائيل[2] .

(٤) كفر ومجون

كما أنهم وضعوا شعرا كثيرا فيه كفر والحاد ، وفيه خلاعة ومجون ونسبوه إلى اعدائهم من خلفاء بنى أمية . ومثال ذلك ماوضعوه على يزيد ابن معاويه .

ليتَ أشياخى ببدر شَهدوا جَزَعَ الخزرج من وقع الأَسَلْ
لأهلّوا واستهلّوا فرحا ثم قالُوا يايزيدُ لا تُشَلْ
لعبتْ هاشمُ بالملك فلا خبَرٌ جاء ولا وَحْىٌ نَزَلْ

(١) شرح ابن أبى الحديد ج ٦ ص ١١١ .

(٢) شرح ابن أبى الحديد .

لستُ من خندف إنْ لم انتقمْ   من بنى أحمدَ ما كانَ فعل

فليس مما يعقل أن يصدر مثل هذا القول من رجل يحكم الناس باسم الدين ، ويسيطر عليهم باسم الدين ، ويخضعهم باسم الدين . نعم ليس من المعقول أن يطعن يزيد فى الإسلام الذى لولاه لما كانت هناك خلافة ولما كان هناك سلطان . وإذا صدقنا أن يزيد كان فيما بينه وبين نفسه ملحدا ، فلا نستطيع أن نصدق أنه يجاهر بهذا ويصرح به فى مثل هذا الشعر .

ومثل آخر أسوقه للقارىء وهو قول أحد أنصار معاوية مخاطبا إياه

أعطِ عمرا إن عمرا تاركٌ   دينَه اليومَ لدُنْيا لم تُحَز

أعطه مصرا وزدْه مثلَها   إنما مصرٌ لمن عَزَّ . وبز

إن مصرًا لعلى أو لَنـا   يغْلِبُ اليومَ عليها من عجز

ففى هذا الشعر ترى أن عمرا ترك دينـه وباع آخرته بدنياه وفضل العاجلة على الآجلة ، وذلك بنصره معاوية فى حربه ضـد على وليس مما يصدقه العقل أن يجرؤ أحد أتباع معاوية على مخاطبة سيده بمثل هذا القول .

ومثال آخر وهو مما ينسب إلى عمرو بن العاص .

لما تعرَّضتِ الدُّنيا عَرَضْتُ لها   بحرصِ نفسِي وفى الأَطباع أذهانُ

نفسٌ تعفُّ وأخرَى الحرص يُغلِبُها   والمرءُ يأكلُ تبنا وهو غرثانُ

أما علىٌّ فدينٌ ليس يشركه   دنْيَا وذاك له دُنْيا وسُلطان

فاخترتُ من طمَعِي دُنيا على بَصَر   ومَا معِى بالذى اختارُ برهانُ

إنى لأعرف ما فيها وأبصرُه وفىَّ أيضا لما أهواهُ ألوانْ
لكنَّ نفسِى تُحِبُّ العيشَ فى شرفٍ وليسَ يَرضَى بذلِّ العيش إنسانُ

وليس أبعد إلى الذهن من تصديق صدور مثل هذا القول من شخص كعمرو عرف بميله الشديد إلى معاوية وانصرافه عن علىّ . وهو لم يجد فى ذلك كفرا ولا خروجا عن الدين ، ولم ير أنه اختار الدنيا وأعرض عن الآخرة ، بل كان يعتقد أن الخلافة سلطة زمنية يتسلم مقاليدها من يصلح لها من الناس . ومعاوية فى نظره كان صالحا لها ، فإن قصره انتظر منه أحسن الجزاء ، وأعظم العطاء .

ومن[1] أمثلة هذا الشعر ماروى عن الوليد بن يزيد من أنه دعا ذات ليلة بمصحف ، فلما فتحه وافق ورقة فيها « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . من ورائه جهنم ويسق من ماء صديد » فقال : أسجعا سجعا !! علقوه ، ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزقه ، ثم قال :

أتوعدُ كلَّ جبارٍ عنيدٍ فها أنا ذاكَ جبارٌ عنيدُ
إذا لاقيتَ ربَّك يوم حشرٍ فقلْ للهِ مَزقني الوليدُ

وليس من المعقول أن يصدر هذا من الوليد بن يزيد مع اعترافنا بأنه كان يميل إلى اللهو والمجون ، لأنه هو القائل :

أشهدُ أن الدينَ دينُ أحمدِ فليسَ من خالفَه بمهتدِى
وأنهُ رَسُولُ ربِّ العرشِ القادرِ الفردِ الشديدِ البطش
أرســـله فى خلقِه نذيرًا وبالكتابِ واعظا بشيرًا

(١) الأغانى ج ٧ ص ٤٩ .

ليظهرَ الله بذاك الدينَا وقد جُعِلْنَا قبلُ مُشْرِكِينا

فآثار التكلف ظاهرة على تلك القصة بوضوح وجلاء، فواضعها جعل الوليد يطلب مصحفا لغير ماسبب، ثم يفتحه، وهنا يظهر التصنع الذى يجعل نظر الوليد أول ما يقع على آية «واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ...» ثم تدرج صانع هذه الأسطورة، فجعل الوليد يقول: أسجعا سجعا علقوه، ثم جعله يأخذ النبل ويرميه حتى يمزقه، ثم أنطقه بهذا الشعر الذى سقناه. ومهما يكن دين الوليد، فمن المستبعد أن يقول «ها أنا ذاك جبار عنيد».

ومثل آخر نسوقه للقارئ وهو ما حكى عن الوليد من أنه سمع صياحا فسأل عنه فقيل له: هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال:

إنى سمعتُ بليـــلِ ورا المصلى برَنَّهْ

إذا بنـــاتُ هشامٍ ينـــدبْن والدَهُنَّهْ

يَنْدُبن قرما جَليلا قد كان يَعْضُدُهُنَّهْ

أنا المخنَّثُ حقًّـــا إن لم أنِيكَهُنَّهْ

فظاهر أن البيت الأخير لا يمكن أن يصدر من الوليد. فبنات هشام هن بنات عمه وهو أحق الناس بالمحافظة على أعراضهن.

وقد نسبوا له شعرا ثبت أنه لغيره من شعراء المجون. ومثال ذلك ما رواه صاحب الأغانى «خرجْ الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة

فإذا هو ببنت له معها حاضنتها فوثب عليها فافترعها ، فقالت له : إنها المجوسية ، قال : اسكتى ثم قال :

من راقبَ الناسَ ماتَ غمّاً وفازَ باللّـــذةِ الجسورُ

قال أبو الفرج[1] : «وأحسب أنا أن هذا الخبر باطل ، لأن هذا الشعر لسلم الخاسر ، ولم يدرك زمن الوليد» .

---

(١) الأغانى جـ ٧ ص ٦١ .

الفصل الثانى

الشعر عند الشيعة

لقد أغنت حركة التشيع الشعر العربى إلى حد كبير . وكان الشعر الناتج عنها شعرا غزيرا قويا . وسبب ذلك أن الموقف الذى وقفه الشيعة من شأنه أن يلهب العاطفة ويهيجها ويثيرها . والعاطفة أكبر دعامة من دعائم الشعر . وكان للشيعة عواطف بارزة قوية يرجع إليها الفضل فى كثرة ما وصلنا عنهم من شعر . العاطفة الأولى عاطفة الغضب ، فإنهم اعتقدوا أنهم سلبوا حقهم وغصبوه . واعتدى عليهم ظلما فحنقوا وغضبوا ، ودفعهم الغضب إلى أن يقولوا شعرا فياضا بالحنق والغيظ على هؤلاء المغتصبين .

أما العاطفة الثانية فهى عاطفة الحزن على ما حل بهم من نكبات جسام ، وماوقع عليهم من مصائب عظام طوال حكم الأمويين والعباسيين .

والعاطفة الثالثة عاطفة الحب الشديد لآل البيت ، هذا الحب الذى أخذ يزداد بمرور الأيام ويقوى كلما اشتد اضطهاد الأمويين والعباسيين لأئمتهم .

وإذا نظرنا إلى الشعر عند الشيعة وجدنا أغراضه تنحصر فى الأمور الآتية :

(١) المـــدح

مدح شعراء الشيعة أئمتهم بقصائد رائعة ، أظهروا فيها حبهم وعطفهم لآل البيت ، وإخلاصهم لهم وولاءهم . وقد كان هذا المدح فى أول الأمر ساذجا لا غلو فيه ولا إسراف . ومثال ذلك ما ينسب إلى حجر بن عدى الكندى يمدح علياً يوم الجمل :

يا ربَّنا سلِّمْ لنَـــا عليا   سلِّمْ لنا المباركَ المُضِيَّا
المؤمِنَ الموحِّـــدَ التقِيَّا   لا خَطِلَ الرأيِ ولا غَوِيَّا
بل هادياً مُوَفَّقا مَهْدِيَّا   واحفَظْهُ ربِّى واحفظ النبيَّا
فيه فقـدْ كانَ له وَلِيَّا   ثم ارْتَضاهُ بعْدَه وصِيَّـا

وربما كان البيتان الأخيران قد أضافهما أحد الشيعة ممن عاشوا بعد عصر علىّ .

ومثل آخر من المدح وهو ما ينسب إلى أحد شعراء الشيعة يذكر نفور قومه إلى على :

نُوَقِّرُه فى فضْـــله ونُجِلُّه   وفى اللهِ ما نرجُو وما نَتَوَقَّعُ
دَلَفْنَا بجمع آثروا الحقَّ والهُدى   إلى ذِى تُقًى فى نَصْرِه نَتَسَرَّعُ
نكافِحُ عنه والسيوفُ شَهيرةٌ   تُصَافِحُ أعْنَـاق الرِّجَالِ فَتَقْطَعُ

* * *

ثم أخذ الشعراء يغلون فى المديح شيئا فشيئا . ومثال ذلك ماينسب للفرزدق فى مدح[1] على بن الحسين . روى أن هشاما حج قبل أن يلى

(١) الأغانى حـ ١٤ / ٧٦ .

الخلافة ، فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه ، وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلمه فقال أهل الشام لهشام : من هـذا يا أمير ؟ فقال : لا أعرفه . فقال الفرزدق : لـكنى أعرفه ، هذا على بن الحسين، وأنشأ يقول :

هذا الذى تعرفُ البطحاء وطأَته والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلهِمُ هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطاهرُ العلَمُ
يكاد يمسكه عرفانَ راحتهِ ركنُ الحطِيم إذا ما جاء يَستلِمُ
إذَا رأَته قريشٌ قالَ قائلها إلى مكارِمِ هذا يَنتهى الكرمُ
إنْ عُدَّأَهْلُ القِرَى كانوا ذَوى عَدَدِ أو قِيلَ مَن خيرُ أهلِ الأرضِ قيل هُمُ
فليْسَ قولُكَ من هذا بضَائرِه العربُ تعرفُ من أنكرتَ والعَجَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ تجهله بجده أنبياءُ اللهِ قد ختِمُوا
فى كفِّهِ خيزُرَانٌ ريحهُ عَبقٌ من كَفِّ أرْوعَ فى عِرنينِه شَمَمُ
يغْضِى حياءً ويُغْضَى من مَهابَتهِ فلاَ يكَلَّمُ إلا حينَ يبْتَسِمُ

وهى خمسة وعشرون بيتا . وقد شاع بين الناس أنها للفرزدق مع أن من المشكوك فيه أن الفرزدق يرتجل كل هذا فى حضرة هشام ولا يجد من يقوم فى وجهه من الجالسـين . وقد ثبت أن الفرزدق قال أربعة أبيات ، ثم أخذ أدباء الشيعة يزيدون عليها ماليس منها حتى بلغت خمسة وعشرين بيتا .

ذكر صاحب[1] الأغانى أن هذين البيتين .

فى كَفِّهِ خيزرانٌ ريحُه عَبقٌ من كفِّ أروعَ فى عرنِينِه شمَم

(١) الأغانى جـ ١٤ / ٧٤ .

يُغضِى حياءً ويُغضَى من مَهابتهِ فلا يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسمُ

قالها عمرو بن عبيد الشهير بالحزين فى مدح عبـد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وكان عبد الله من فتيان بنى أمية وظرفائهم ، وكان حسن الوجه حسن المذهب.

قال أبو الفرج [1] « والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها على بن الحسين بن أبى طالب عليه السلام التى أولها .

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

وهو غلط ممن رواه ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على ابن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد ».

وقال فى موضع آخر «من الناس من ينسب هذه الأبيات لداود بن سلم فى قثم بن العباس ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه . » ثم أورد صاحب الأغانى الأبيات الآتية :

كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ يرجوكَ ياقثَمُ الخيرات ياقثَمُ

أى العمائرِ ليستْ فى رِقَابِهِم لأَوَّلِيَّةِ هَـــذَا أَولَهُ نَعَمُ

فى كفِّهِ خَيْزُرَانٌ ريحهُ عَبِقٌ من كفِّ أروعَ فى عرنينِهِ شَمَمُ

يُغضى حياءً ويُغْضَى من مهابته فلا يكلَّم إلا حـــين يَبْتَسِمُ

قال أبو الفرج « ومما ذكر لنـا الصولى عن العلائى عن مهدى بن سابق أن داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول فى

---

(١) الأغانى جـ ١٤ ص ٧٥ .

شعره فى على بن الحسين عليه السلام . وذكر الرياشى عن الأصمعى أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال :

يكادُ يمسِكه عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ماجاء يستلم
كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ فى الناس يا قثم الخيرات ياقثم

فأمر له بجائزة سنية ، والصحيح أنها لمالك الحزين فى عبدالله بن عبدالملك . وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة[1] منتظمة المعانى متشابهة تنبيء عن نفسها »

* * *

ومن أمثلة المديح قول الكميت :

بل هَواى الذى أُجن وأُبدى لبنى هاشمٍ فروعِ[2] الانَامِ
للقَريبينَ من نَدًى والبعيديـ ـنَ من الجور فى عُرَى[3] الأَحكام
والمصيبينَ باب ما أخطأَ النـ ـاسُ ومرسى قواعدِ الإسلام
والحماةُ الكفاةُ فى الحرب إن لفـ ـف ضِرامٌ وقودُه[4] بضرام
والغيوثُ الذين إن أمحل النـ ـاسُ فمأْوَى حواضِن[5] الأَيتام

* * *

(١) الأغانى جـ ١٤ /٧٥ .
(٢) الهوى : الميل . أجن : أضمر . أبدى : أظهر . وفروع الأنام . أرفعهم وأسماهم .
(٣) الندى . الكرم . والعرى جمع عروة . والأحكام جمع حكم .
(٤) الحماة جمع حامى وهو الذاب عن الحرم .
(٥) الغيوث : جمع غيث وهو المطر والخصب . وأمحل الناس أجدبوا . والمحل : الجدب والقحط — حواضن الأيتام يريد بهن أمهات الأيتام .

ولما تطورت معتقدات الشيعة وظهرت آراؤهم فى الأئمة والقول بعصمتهم ، وأن الإمام يشفع لأمته يوم القيامة ، جاء ذلك واضحا جليا فى شعر الشعراء الذين بلغوا فى الغلو درجة بعيدة . ومثال ذلك قول ابن هانىء الأندلسى يمدح المعز لدين الله الفاطمى :

ما شئتَ لا ماشاءت الأقدارُ ... فاحكم فأنتَ الواحدُ القهارُ
وكأنما أنتَ النبيُّ محمدٌ ... وكأنما أنصارُك الأنصارُ
أنتَ الذى كانت تُبشرُنا به ... فى كُتبِها الأحبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتقينَ ومن بهِ ... قد دُوِّخَ الطُّغيانُ والكفارُ
هذا الذى تُرْجى النجاة بحبِّهِ ... وبه يُحطُّ الإصرُ والأوْزَارُ
هذا الذى تُجْدِى شَفَاعَتُهُ غدا ... حَقّا وتَخْمُدُ انْ تَراهُ النَّارُ
من آل أحمد كلُّ فخرٍ لم يكن ... ينمى إليهم ليس فيه فَخارُ
كالبدرِ تحتَ غمامةٍ من قسطل ... ضحيان لا يُخفيه عنك سِرارُ

وقد شاع مثل هذا المديح بين شعراء المسلمين . أنظر إلى المتنبى حين يقول :

لو كانَ علمك بالإله مُقَسَّما ... فى الناس ما بعثَ الإلهُ رسولا
أو كان لفظك فيهمُ ما أنزل الـ ... توراة والفرقان والإنجيلا

وانظر إليه حين يقول :

لو كان ذو القرنين أعْمَلَ رأيَهُ ... لما أتى الظّلمات صِرْنَ شُموسا
أوْ كان صادَفَ رأسَ عازر سيفه ... فى يوم معركةٍ لأَعيا عيسى
أو كان لُجُّ البحر مثل يمينه ... ما أنشقَّ حتى جاز فيهُ موسى

★

يا من تَلوذُ من الزَّمان بظِلِّهِ   أبداً ونطرُدُ باسمه إبليسا

* * *

وقد كثر مدح الشعراء لآل البيت كثرة مدهشة واشترك فى هذا المديح شعراء شيعيون وسنيون . وكان مديح آل البيت سببا فى ظهور المدائح النبوية ، والاستغاثة بآل رسول الله . وقد شغل هذا وذاك مكانا كبيرا فى عالم الشعر كما أن هذا المديح فى آل على دفع كثيرا من الشعراء إلى نظم القصائد فى مدح أبى بكر وعمر وعثمان فظهر ما نراه من القصائد البكرية والعمرية والعثمانية .

(٢) الرثاء

كانت مجزرة كربلاء التى قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعا قويا للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التى تسيل العبرات ، وتذيب القلوب ، وتفتت الأكباد . ولا غرابة فى ذلك فهى صدى لتلك الدماء التى سفكت بغير حساب ، والأشلاء التى تناثرت وتركت على الأرض طعاما للطير ، والجثث التى أحرقت وذريت فى الهواء ، والأجسام التى صلبت وبقيت مصلوبة أياما تنبعث منها الروائح الكريهة ، والقبور التى هدمت وحرث مكانها وزرع . وقد كثر الشعر فى رثاء آل البيت كثرة هائلة ، وكله صادر من أعماق النفوس ، منبعث من قرارة الأفئدة . فكان للأدب العربى من ذلك ثروة لا تقدر . ومن أمثلة ذلك ما ينسب لزوجة الحسين .

إنَّ الذى كان نورا يُسْتَضاءُ به   بِكَرْبلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ

سِبطَ النبيِّ جزاكَ الله صالحةً ... عنَّا وَجُنِّبْتَ خُسْرَانَ الموازِينِ
قدكنتَ لِي جبلا صعبا أَلوذُ به ... وكنتَ تَصْحَبُنَا بالرَّحْمِ والدين
مَنْ لليتامَى ومَنْ للسائِلينَ ومَنْ ... يُغْنِي ويَأْوِى إليْهِ كلُّ مِسكِينِ
واللهِ لا أَبْتَغِي صهرا بِصهركُمُ ... حَتَّى أُغَيَّبَ بين الرَّمْلِ والطينِ

وقول السيد الحميرى :

أُمْرُرْ على جَـدثِ الحسـ ... ـينِ فقُلْ لأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّهْ
آ أعظما لا زلتِ من ... وطفاء سـاكنةٍ رَوِيَّهْ
وإذا مَررتَ بقـبره ... فأطلْ به وقفَ المطيَّـهْ
وابكِ المطهـرَ للمط ... هر والمطهـرةِ النَّقِيَّهْ
كبُكاءِ مُعْـوِلَةٍ أَتتْ ... يَومًا لواحـدِها المنِيَّهْ

ومن جيد ما قيل فى رثاء آل البيت قصيدة دعبل الخزاعى التى يقول فيها :

مدارسُ[1] آياتٍ خلتْ من تِلاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مُقْفِرُ العَرَصَاتِ
لآلِ رسولِ اللهِ بالخَيْفِ من مِنىً ... وبالركْنِ والتَّعْرِيفِ والجَمَراتِ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ ... وحمزَةَ والسَّجَادِ ذى[2] الثفناتِ
ديارٌ عفاها كلُّ جَوْنٍ مُبَاكِرٍ ... ولم تعفُ للأَيَّامِ والسَنَواتِ
قِفا نسألِ الدارَ التى خَفَّ أهلها ... متى عهدُها بالصومِ والصلَوَاتِ
وأينَ الأُلَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوى ... أفانِينَ فى الآفاقِ مُفْتَرِقَاتِ

---

(١) معجم الأدباء ج ١١ / ١٠٣ .

(٢) السجاد هو على بن عبد الله بن العباس سمى بهذا لكثرة السجود . والثفنات جمع ثفنة وهى ركبة الإنسان . يريد أن ركبتيه تأثرتا من كثرة السجود .

وهى طويلة ، وسنورد بقيتها حينما نتكلم عن أشهر شعراء الشيعة .

وقد روى أن كثيرا من شعراء الشيعة وأدبائها كانوا يجتمعون ويبكون وينوحون بالقصائد التى ينظمونها فى رثاء آل البيت . ومما بُكِىَ به قول أحد الشعراء .

بنى أحمدٍ قلبى لكم يَتَقَطَّعُ ... بمثلِ مُصابى فيكُمُ لَيس يُسْمَعُ
عَجِبْتُ لكم تَفْنَونَ قتلاً بِسَيْفِكم ... ويَسطو عليكم مَن لكُمُ كَانَ يَخْضَعُ
كان رسولَ اللهِ أَوْصَى بِقَتْلِكُمْ ... وأَجسامِكم فى كلِّ أرْضٍ تُوَزَّعُ

(٣) الهجاء

أكثر شعراء الشيعة من هجاء أعدائهم أمويين وعباسيين ، كما هجوا أبا بكر وعمر وعثمان هجاء مرا ، وقالوا فى ذلك كثيرا . ومن أشهر من عرَّض بهؤلاء فى شعره السيد الحميرى ، وهو شاعر عاش فى أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية . وكان شيعيا غاليا ، وقد ذكره صاحب الأغانى [١] بقوله « فكان يفرط فى سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، ويستعمل شعره فى قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا المجلس وغيره ، وهجره الناس تخوفا وتوقيا » .

وكان مهيار الديلمى الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى كثير الطعن فى هؤلاء الصحابة . ولكن شعره لم يهجره الناس كما هجروا شعر السيد

---

(١) الأغانى جـ ٧ / ٢٣٠ .

الحِمْيرىّ ، فوصل إلينا كل ما قاله فى هذا الباب . ومن أمثلة هذا الهجاء قول أحد شعراء الشيعة :

قدكنتُ أطمَعُ أن أموتَ ولاأرى   فوق المنابِرِ من أمَيَّةَ خاطِبا
فالله أخَّرَ مُدَّتى فتطاوَلتْ   حتَّى رأيتُ من الزَّمَانِ عَجَائِبَا
فى كلِّ يومٍ للزمانِ خَطيبُهم   بَينَ الجميع لآلِ أحمد عَائِبَا

وقول مهيار :

حَملُوها يوم السقيفةِ أَوْزا   را تَخِفُّ الجبال وهِىَ ثِقَالُ
ثم جَاءوا من بعدِها يَسْتَقِيلُو   نَ وهيهاتَ عثرةٌ لاَ تُقَالُ
يا لهـا سوءةً إذا أحمـــدَ قَا   م غدا بينهم فقـال وقالوا
ربعُ همِّى عليهمُ طَلَلٌ با   قٍ وَتَبْلَى الهمومُ والأطلالُ

ومن قوله أيضا :

أألله يا قومُ ، يَقْضِى النبىُّ   مطاعا فيُعْصى وما غُسِّلا
ويُوصى فنحرصُ دَعْوى عليـ   ـهِ فى تركِهِ دينَه مُهْملاَ
وَيجْتَمِعوُن على زَعْمِهم   ويُنْبِيك سعدٌ بمـا أشْكَلا
فيعقب إجمـاعهم أن يبيـ   ـت مفضولهم يقدُم الأفضلا
وأن يُنزعَ الأمرُ من أهلِه   لأنَ عليًّـا له أهّـــلاَ
وساروُا يَحُطُون فى آلِه   بِظُلْمِهِمُ كَلْكَلاً كَلْكَلاَ

ومنها :

فيـــوم السَّقيفةِ يا بن النَّبـ   ـىِّ طرَّقَ يومَك فى كرْبَلا

وغصبُ أبيكَ على حَقِّهِ   وأمِّك حَسَّنَ أن تُقتلا

* * *

ولما أكثر شعراء الشيعة من الطعن على الخلفاء الأول قام فريق من شعراء السنيين يدافعون عن أبى بكر وعمر وعثمان ويذودون عنهم ، فكان من هذا وذاك شعر كثير . قال بديع الزمان الهمذانى من قصيدة طويلة .

إمامُ من أُجْمِع فى السَّقِيفَهْ   قَطْعًا عليه أنه الخَلِيفَهْ

ناهيكَ من آثارِه الشريفَهْ   فى ردِّه كيدَ بنى حَنِيفَهْ

سلِ الجبالَ الشُّمَّ والبحارَا   وسائِل المنبرَ والمنَارَا

واستعلِم الآفاقَ والأقْطارَا   من أظهر الدينَ بها شِعارَا

ثم سلِ الفرسَ وبيتَ النارِ   من الذى فَلَّ شَبا الكفارِ

هل هذه البيضُ من الآثارِ   إلا لثَانى المُصطفَى فى الغارِ

وهى طويلة فليرجع إليها القارىء إن شاء فى الجزء الثانى من معجم الأدباء طبع القاهرة[1] .

(٤) الدفاع عن حق على

كان الدفاع عن حق علىٍّ وآل بيته فى الخلافة من أهم الأمور التى شغلت شعراء الشيعة ، فتناولوا هذا الموضوع وقالوا فيه كثيرا . دافعوا عن هذا الحق دفاعا مذكورا ، ولم يتركوا حجة ولا دليلا يثبت حقه فيها إلا أتوا به مفصلا مشروحا ، ولم يدعوا برهانا ولا بينة تؤيد رأيهم ،

(١) ص ١٩٧ ج ٢ .

وتدعم مذهبهم إلا ذكروها ونوهوا بها . ويعتبر الكميت أول شاعر شيعي لجأ في الدفاع عن حق علي إلى الدليل والبرهان ، وقد قال عنه الجاحظ « إنه من أول من دل الشيعة على طرق الاحتجاج » ومن قوله :

وقالُوا ورِثْنَاها أَبانا وأمنا ... وما وَرَّثَتْهُم ذاك أُمٌّ ولا أبُ
يرون لهم حقًّا على الناسِ واجبًا ... سَفاها وحقُّ الهاشميين أوجبُ
ولكن مواريثُ ابن آمنةَ الذي ... به دانَ شرقيٌّ لكم ومُغَرِّبُ

ومنها :

يقولون لم يُورَث، ولولا تُراثُه ... لقد شركتْ فيه بَكيلٌ وأرْحَبُ
وعكٌّ ولخم والسَّكونُ وحميرٌ ... وكندةُ والحيَّانِ بكرٌ وتغلبُ
ولانتشلت[1] عضوين منها يُحَابِرٌ ... وكان لعبدِ القيسِ عضوٌ[2] مؤربُ
ولانتقلتْ من خندفٍ في سواهُمُ ... ولاقتدَحت قيسٌ بها ثم أثقبوا
ولا كانت الأنصارُ فيها أدلةً ... ولا غُيَّبا عنها إذا الناس غُيَّبُ
همُ شهدوا بدرا وخيبرَ بعدها ... ويومَ حُنَيْنٍ والدماءُ تَصَبَّبُ
وهم رائموها[3] غيرظئرٍ[4] وأشبلوا ... عليها بأطراف القنا وتحدَّبوا
فإنْ هي لم تصلُح لقومٍ سواهُمُ ... فإنَّ ذَوِى القرْبَى أحَقُّ وأقربُ
فيالكَ أمرا قد اشتَّتْ وجوهُه ... ودارا ترى أسبابَها تتقضَّبُ
تبدلَتِ الأشرارُ بعد خِيارِها ... وجُدَّ بها من أمةٍ وهي تَلْعَبُ

فأنت ترى أن الكميت قد ألف حجة قوية فهو يقول : لو لم يورث

---

(١) أخذت نصيبين .
(٢) عضو مؤرب نصيب تام .
(٣) قبلوا دعوة الرسول .
(٤) الظئر التي تعطف على غير ولدها .

النبي لكانت الخلافة شائعة فى قبائل العرب ، ولما كان هناك معنى للقول بأن الخلافة فى قريش . فإن قلتم بأن الخلافة فى قريش ودفعتم الأنصار عنها بهذه الحجة ، فلا معنى لتقديم قريش إلا لقرابتهـا من الرسول ، وإذا كانت قرابتها هذه هى الحجة التى تستند إليها فالأقرب أولى . فبنو هاشم أولى من بنى أمية ، وبنو علىّ أولى بنى هاشم . وهذه الحجة التى أتى بها الكميت ليست جديدة ، ولا هى من اختراعه ، بل مر بنـا ذكرها حينما رأينا عليـا يجادل أبا بكر وعمر ، ويقول لهما : أنا أحتج عليكما بمثل ما احتججتم على الأنصار . ولكن الكميت أول من صاغ هذه الحجج فى الشعر وأتى بها فى القصيد .

* * *

وقد ترتب على مثل هذا الشعر ظهور نوع من النقائض بين شعراء العلويين والعباسيين ، ترى فيها الحجة تدفع الحجة ، والبرهان يبطل البرهان . واجتهد كل فريق فى الاستناد إلى القرآن والحديث والسنة والإجماع لتأييد وجهة نظره . ومثال ذلك قول أحد شعراء العباسيين مخاطبا الرشيد :

يا ابن الأئمـةِ من بعد النبيِّ ويا ابـــنَ الأوصياءِ أقر الناسُ أو دفعوا
لولا عَدِيٌّ[1] وتيمٌ[2] لم تكن وصلت إلى أميـــة تَمْريهـا وتَرْتضع
وما لآلِ علىٍّ فى إمارتكم وما لهم أبدا فى إرثكُمْ طمعُ

(١) قبيلة منها عمر بن الخطاب .

(٢) قبيلة منها أبو بكر الصديق .

يا أيها الناسُ لاتعزُبْ حلومكُمُو ... ولا تُضِفْكم إلى أكنافِها البِدَعُ
العَمُّ أَوْلى من ابن العم فاستَمِعوا ... قولَ النَّصيحةِ إنَّ الحقَّ مُسْتَمَعُ

وقول شاعر آخر :

ألا لله دَرُّ بنى علىٍّ ... ودَرٌّ من مَقَالتهم كثيرُ
يسمون النبَّى أبا ويأبى ... من الأحزابِ سطرٌ بل سطورُ

يشير الشاعر هنا إلى آية الأحزاب « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله » . وكان من أكبر دعاة العباسيين فى الشعر مروان بن أبى حفصة . لقد مدح المهدى والرشيد ، ونال جوائزهما العظيمة ، وله قصيدة مشهورة مدح بها المهدى عندما عقد البيعة لابنه الهادى :

يا ابن الذى ورثَ النبيَّ محمدا ... دونَ الأقارب من بنى الأعمامِ
الوحىُ بين بنِى البناتِ وبينكم ... قَطع الخصامَ فلاتَ حينَ خصامِ
ما للنساءِ مع الرجالِ فريضةٌ ... نزَلتْ بذلكَ سورةُ الأَنْعَامِ
خلُّوا الطريقَ لمعشرٍ[1] عاداتُهم ... حَطمُ المناكِب كلَّ يومِ زحامِ
إرضَوْا بما قسم الإلهُ لكم بهِ ... ودَعُوا وراثة كُلِّ أصيدَ حامِ
أَنَّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ ... لبنى البناتِ وراثةُ الأعمامِ
ألغى سهامَهم الكتابُ فحاوَلوا ... أن يشْرعوا فيها بغير[2] سِهامِ

(١) يريد بالمعشر العباسيين . وحطم المناكب يوم الزحام كناية عن غلبهم لخصومهم يوم التنافس فى المجد .

(٢) أى أن ينالوها دون أن يكون لهم نصيب مفروض فيها .

ظفِرَتْ بنو ساقِى الحجيج بحقّهم وغُرِرْتمُ بتوهّم[1] الأحْلام
عقِدتْ لموسى بالرّصافةِ بيعة شَدَّ الإلهُ بها عُرَى[2] الإسلامِ
موسى الذى عرفتْ قريشٌ فضله ولها فضِيلَتُها على الأقْوَامِ

قيل إن أشد بيت كان على الشيعة قوله :

أنى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبنى البناتِ وراثةُ الأعمامِ[3]

وقد غاظهم هذا البيت حتّى لعنوه من أجله ، وردوا عليه بقولهم :

لِمَ لا يكونُ وإنّ ذاك لكائنٌ لبنى البنات وراثةُ الأعمامِ
للبنْتِ نصفٌ كاملٌ من مالِهِ والعَمُّ متروك بغيرِ سهامِ
ما للطليقِ وللتراثِ وإنّما صلى الطليقُ مخافةَ[4] الصَّمْصام

قال أبو الفرج « قال صالح بن عطية الأضجم وهو شيعى ، لما قال مروان :

أنى يكونُ وليسَ ذاك بكائنٍ لبنِى البناتِ وراثةُ الأعمامِ

لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أى وقت أمكننى ذلك ، وما زلت ألاطفه وأبره ، وأكتب أشعاره حتى خصصت به فأنس بى جدا ، وعرفت ذلك بنو حفصة جميعا فأنسوا بى ، ولم أزل أطلب غِرةً حتّى مرض من حمى أصابته ، فلم أزل أظهر له الجزع عليه حتى خلا لى البيت يوما فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقته حتى مات . »

(١) ساقى الحجيج هو العباس بن عبد المطلب كان يسقى الحجاج بمكة فى الجاهلية .
(٢) موسى الهادى ابن الخليفة المهدى .
(٣) وراثة الأعمام : يريد وراثة كوراثة الأعمام .
(٤) الطليق هو العباس أسر مع المشركين يوم بدر ثم افتدى نفسه .

ولقد كان مروان من أحب الشعراء إلى الرشيد لأنه كان يصل مدح الرشيد بالتعريض بالشيعة والطعن فيهم . وقد اضطر الشعراء الآخرون إلى مجاراة مروان فى طريقته حتى يظفروا بمثل ما كان يظفر به من العطايا والهبات .

(٥) ذكر مناقب آل البيت

أكثر شعراء الشيعة من التغنى بمناقب على وآل بيته فى شعرهم . فكانوا كلما سمعوا منقبة قالوا فيها شعرا ولو كانت هذه المنقبة مما لا يقبله العقل . وتعتبر قصائدهم التى نظموها فى هذا الموضوع من الشعر القصصى ؛ لأنك تجد الشاعر يسرد لك عجيبة من عجائب على ، أو عادة من خوارق عاداته ، أو أمرا غريبا وقع له من شأنه أن يرفع من مقام على أمام الناس ويجعله سيد الأوصياء بغير شك ولا ريب . وقد كان السيد الحميرى من أكثر شعراء الشيعة ذكرا لمناقب على . قال صاحب الأغانى[١] «كان السيد الحميرى يأتى الأعمش — وهو عالم كوفى ثقة فى الأخبار — فيكتب عنه فضائل على رضى الله عنه ، ويخرج من عنده ويقول فى تلك المعانى شعرا » .

ثم قال « فخرج[٢] ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمله على فرس ، وخلع عليه ، فوقف بالكناسة — محلة بالكوفة — ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءنى منكم بفضيلة لعلى بن أبى طالب لم أقل فيها شعرا أعطيته فرسى هذا وما على . فجعلوا يحدثونه وهو ينشدهم » .

---

(١) و (٢) الأغانى ج ٧ .

من ذلك أنه سمع رجلا يروى عن النبي أنه قال لعلى بن أبي طالب : إنه سيولد لك بعدي ولد ، وقد نحلته اسمي وكنيتي فقال في ذلك قصيدة طويلة نذكر منها .

أَلم يبلُغْكَ والأنباءِ تَنمِي ... مقالُ محمدٍ فيما يُؤدِّي

إلى ذِى عليه الهادِى علىٍّ ... وخولةُ خادمٌ في البيتِ تردى

ألم ترَ أن خولةَ سوف تأْتى ... بوارى الزّند صافِى الخيمِ نجدِ

يفوزُ بكُنْيتى واسْمى لأنّى ... نحلتُهماهُ والمهدىُّ بعدِى

يُغَيَّبُ عنهمُ حتى يقولوا ... تضمنه بطيْبَةَ بطنُ لحدِ

* * *

ومن ذلك أيضا أنه سمع محدثا يقول إن النبي كان ساجدا فركب الحسن والحسين على ظهره ، فقال عمر رضى الله عنه : نعم مطيكما ! فقال النبي « ونعم الراكبان هما » فقال السيد في ذلك :

أتى حسنا والحسينَ النبي ... وقد جلسا حَجْرةً[1] يلعبانِ

ففــداهما ثم حيــاهُما ... وكانا لديهِ بذاكَ المكانِ

فراحا وتحتَهمــا عاتِقاهُ ... فنِعْم المطيــةُ والراكبانِ

وليــدانِ امهما برةٌ ... حَصانٌ مطهرةٌ للحَصانِ

(١) ناحية .

(٦) النقائض

وهى القصائد التى تبادلها شعراء الفريقين من الشيعيين وخصومهم وكانت مملوءة بالشتائم والسباب ، مفعمة بالألفاظ النابية التى تنفر منها الأسماع . وهى وإن كانت تدخل ضمن الهجاء، إلا أنى آثرت أن أفردلها مكانا خاصا . لأن الهجاء عند الشيعة تناول الأموات أكثر من الأحياء : تناول أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة بالسب واللعن والتكفير ، ورميهم بالغدر والخيانة واغتصاب حق على فى الخلافة . أما هذه النقائض فكانت هجاء متبادلا بين شاعر وشاعر يطعن أحدهما فى أخلاق الآخر وعرضه وشرفه وحسبه ونسبه ، ويتهمه بالفسق والفجور فيرد عليه الآخر ردا فيه فحش وفيه إقذاع . ومن أمثلة ذلك قول كثير وكان يدين بالرجعة

وسِطٌ لا يذوق الموتَ حتى   يقودَ الخيلَ يقدُمها اللواءُ
تغَيَّبَ لا يُرَى فيهم زمانا   بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

فأتى على بن الجهم وقال[1] :

ورافِضةٌ تقولُ بِشِعْبِ رَضْوى   إمامٌ ، خابَ ذلك من إمامِ
إمامٌ من له عشرون ألفا   من الأتراكِ مُشرَعَة السِّهامِ

فرد عليه البحترى بقوله :

إذا ما حُصِّلَتْ عُليا قُريشٍ   فلا فى العيرِ أنتَ ولا النفيرِ
وما رُغَثاؤُك الجهم بن بدر   من الأَقْمارِ ثَمَّ ولا البدورِ

---

(١) الأغانى جـ ٢٠٧/١٠ .

ولو أعطاكَ ربُّك ما تمنَّى ... لزادَ الخلقَ فى عِظَمِ الأُيُورِ
علامَ هجَوْتَ مجتهدا عليا ... بما لَفَّقْتَ من كَذِبٍ وزُوَرِ
أمالك فى استِك الوجعاءِ شُغْلٌ ... يَكُفُّكَ عن أذى أهل القبور

* * *

كذلك امتازت النقائض بأن الشاعر كان يقول القصيدة ، فسرعان ما ينبرى شاعر آخر للرد عليه . ومثال ذلك قول أحد شعراء طلحة :

نحن بنو ضَبَّةَ أصحابُ الجمل ... نُنازِل الموتَ اذَا الموتُ نزلْ
نَنْعَى ابنَ عفّان بأطرافِ الأَسلْ ... رُدُّوا علَيْنَا شيخَنا ثم بَجَلْ
الموتُ أحلَى عندَنا من العَسلْ ... لا عارَ فى الموتِ إذا حانَ الأجلْ
إن عليا هو من شرِّ البدلْ ... إن تعدلوا بشيْخِنَا لا يعتـدلْ

فأجابه رجل من أنصار على :

نحنُ قَتلْنَا نعثلاً فيمن قتلْ ... أكثرَ من أكثرَ فيهِ أو أقلْ
أنَّى يُرَدُّ نعثلٌ وقد قحـل ... نحن ضربنا وسطه حتى انجزلْ
لحكمه حكم الطواغيت الأولْ ... آثرَ بالفيءِ وجافَ فى العملْ
فأَبْدَلَ الله به خـيرَ بدلْ ... إنى امرؤ مستقدِمٌ غير وَكِلْ

* * *

ومن هذا النوع أيضا قول الوليد بن عقبة يخاطب أنصـار على متهما إياهم بالاستيلاء على أسلحة عثمان بن عفان وهو :

بنى هاشم رُدوا سلاح ابن أختكمْ ... ولا تنهبوه لا تحِـل مناهِبُهْ

بنى هاشمٍ كيف الهوادَة بيننا وعنـــد على درعه ونَجائِبُهْ
قتلتم أخى كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازِبُه

قال ابن أبى الجديد[1] « فأجابه عبدالله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها :

فلا تسألوا ما سَيْفكم إنّ سيفكم أُضِيع وألقاهُ لدى الرَّوْع صاحِبهْ
شَبَّهْتَهُ بِكسرَى وقد كان مثله شَبِيها بِكِسْرَى هَدْيه وضرائِبه[2]

أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا »

ومنها :

وكان وَلِىّ العَهْدِ بعــــد محمدٍ علىٌّ وفى كلّ المواطِن صاحِبُهْ
علىٌّ ولى الله أظهر دينــــه وأنتَ مع الأشْقين فيمن تحاربه
وقد أنزلَ الرحمنُ أنك فاسِقٌ فما لَك فى الإسْلاَمِ سَهْمٌ تُطَالبه

---

(١) شرح ابن أبى الحديد ج ١/ ٩٠ .
(٢) أستبعد صدور هذا من ابن أبى سفيان — المؤلف .

الباب الرابع

شعراء الشيعة

بلغ شعراء الشيعة من الكثرة مبلغا عظيما حتى أصبح إحصاؤهم فضلا عن التكلم عنهم من الأمور العسيرة . ولا أستطيع هنا أن أتناول بالدرس كل من عرف بتشيعه من الشعراء ، لأن هذا الكتاب أضيق بكثير من أن يتسع لهذا . إلا أننى أرى لزاما على تتمة للبحث أن أتحدث عن بعض شعراء الشيعة متوخيا فى ذلك الإيجاز . وسأبدأ بذكر الشعراء الذين عاشوا فى أيام الدولة الأموية ثم أتبعهم ببعض من عاشوا فى أيام الدولة العباسية . ثم آتى بعد ذلك بذكر شاعر واحد من شعراء الدولة الفاطمية وهو ابن هانىء الأندلسى .

(١) الكميت

هو الكميت[1] بن زيد الأسدى ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار بن عدنان . قال أبو الفرج[2] « شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير

---

(١) ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف أن من يقال لهم الكميت من الشعراء ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة (أولهم) الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس (والثانى) الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر (والثالث) الكميت ابن زيد الأسدى . والكميت تصغير أكمت على غير قياس . والإسم الكمته وهو من الخيل بين الأسود والأحمر .

(٢) الأغانى طبع دار الكتب ج ١٥ ص ١٠٩ .

بأيامها ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية ، المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها . وكان فى أيام بنى أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها . وكان معروفا بالتشيع لبنى هاشم ، مشهورا بذلك . وقصائدة الهاشميات من جيد شعره ومختاره » .

مولده : ولد فى عام ستين هجرية أيام قتل الحسين . ومات سنة مائة وست وعشرين هجرية فى خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

أخلاقه وصفاته : كان الكميت شديد الذكاء ، قوى الحافظة ، سريع الجواب ، حاضر البديهة ، فصيحا مفوها ، ملما بأيام العرب ومناقبها ومفاخرها ، عليما بأنسابها . كما كان كريما دينا ، وفارسا شجاعا .

تشيعه : كان الكميت شديد الحب لآل على ، عظيم الولاء والإخلاص لهم . آزرهم وناضل عنهم فى وقت الشدة ، غير مكترث بسطوة الأمويين وبأسهم . وقد تعرض فى سبيل ذلك للهلاك ، وتحمل اضطهادا كبيرا وعناء شديدا . قال الجاحظ « ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت بقوله :

فإن هِىَ لم تَصْلُح لحىٍّ سواهُمُ ... فإنَّ ذَوِى القُرْبَى أَحَقُّ وأَوْجَبُ

يقولُونَ لم تُورثْ ولولا تُراثُه ... لَقَدْ شَرَكَتْ فيه بَكيلٌ وأَرْحَبُ [١]

وإنك لتجد فى شعر الكميت ما يدل على تعلقه الشديد بآل على .

ومثال ذلك قوله :

بأىِّ كتابٍ أَمْ بأَيَّةِ سُنَّةٍ ... ترى حُبَّهم عارا على وتَحْسِبُ

فمالِىَ إلاَّ آلُ أحمَدَ شيعةٌ ... ومالى إلا مَشْعَبُ الحقِّ مَشْعَبُ

---

(١) قبيلتان من العرب .

ومن غيرهم أرضَى لِنَفْسِيَ شيعةً ومن بعدَهم لا من أجلُّ وأَرْجَبُ
إليكم ذوى آلِ النبيِّ تطلَّعت نوازِعُ من قلبي ظماءٌ وأَلْبُبُ
فطائفة[١] قد كفرتني بحبــكم وطائفة[٢] قالوا مسيء ومذنبُ
فما ساءنى تكفيرُ هَاتِيكَ منهم ولا عيب هاتيك التي هى أعيبُ
يعيبوننى من خِبهم[٣] وضلالهم على حبكم بل يسخرون وأَعجبُ
وقالوا ترابى[٤] هــواه ورأيه بذلك أُدعى فيهمُ وأُلَقَّبُ

ومنها:

ألم ترَنِى فى حُبِّ آلِ محمـدٍ أَرُوحُ وأَغْدو خائِفا أَتَرقَّبُ
كأنى جان مُحــدِث وكأنما بهم أتقى من خشية العار أَجْرَبُ
على أىِّ جرم أم بأيَّةِ سيرةٍ أُعَنَّفُ فى تقريظهم وأُؤَنَّبُ

* * *

غضب هشام عليه: ولما هجا الكميت خالد بن عبد الله القسرى عامل هشام على العراقين، أراد خالد أن ينتقم فَرَوَّى جارية حسناء قصائده التى قالها فى بنى هاشم وأَعَدَّها ليهديها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وبهجائه بنى أمية، وأنفذ إليه قصيدته التى يقول فيها.

فيارب هل إلا بك النصر يُبتغَى ويارب هل إلا عليك المعول

وهى طويلة يرثى فيها زيد بن على وابنه الحسين بن زيد ويمدح بنى

(١) طائفة الخوارج كانت تكفر كل من يحب عليا . (٢) طائفة الأمويين الذين كانوا يتهمونه بالفسق والعصيان . (٣) الخب : الخبث والخداع .
(٤) نسبة إلى أبى تراب وهو لقب على بن أبى طالب .

هاشم ، قال أبو الفرج « فلما قرأها — يعنى هشاما — أكبرها وعظمت عليه واستنكرها ، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره فأخذ وحبس فى المحبس».

إلا أن الكميت استطاع أن يهرب من السجن وأقام مدة متواريا « حتى[1] إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلا فى جماعة من بنى أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه . قال وأخذ الطريق حتى وصل إلى الشام فتوارى فى بنى أسد وبنى تميم » ثم اختلفت الروايات بعد ذلك فى كيفية وصوله إلى هشام . وانتهى أمره بأن نال عفو الخليفة ورضاه ومدحه بقصيدة قيل إنه ارتجلها ومنها .

ماذَا عليكَ من الوقو   فِ بها وإنَّك غيرُ صاغرْ
درَجَتْ عليكَ العـاديا   تُ الرائحاتُ من الأَعاصرْ
فالآنَ صرتُ إلى أمي   ةَ والأمورُ إلى مصايرِ

* * *

الهاشميات : وقد جمع شعره الذى قاله فى مدح بنى هاشم وأطلق عليه « الهاشميات » لأنه احتج فيها لبنى هاشم على خصومه وعدد أبياتها خمسمائة وستة وثلاثون بيتا . وقد طبعت فى أوربا ثم فى مصر واهتم غير واحد بشرحها ونشرها . ومن قوله فى مدح الهاشميين .

وهمُ الآخذون من ثِقةِ الأم   رِ بتَقْواهم عُرَى لا انْفِصامِ
والمصيبونَ والمجيبونَ للدَّعْ   وةِ والمحرِزُون خَصْلَ التَّرامِي

(١) الأغانى جـ ١٥ / ١١٠ .

وَمُحِلّون مُحْرِمون مُقِرّو ... ن لِحِلٍّ قَرَارَةٍ وحَرَامِ

ساسةٌ لا كمن يرى رعية النـ ... ـاسِ سواءً ورِعْيَةَ الأَنعامِ

لا كعبدِ المليكِ أو كوليد ... أو سليمانَ بعد أو كهشامِ

رأيُهُ فيهمُ كرأي ذوى الثُّلَّـ ... ـةِ فى الثَّائجاتِ جُنحَ الظلامِ

يقول إن بنى هاشم ينظرون إلى الناس بعين العطف والرعاية ، ويعملون مافيه خير الرعية ، لايدعونهم هملا كالأنعام كما يفعل الأمويون الذين ينظرون إلى الناس نظر صاحب القطع الكثيرة إلى غنمه والثائجات : الضأن . والثلة : الكثير من الضأن .

ثم قال :

فهمُ الأقربونَ من كلِّ خيرٍ ... وهُمُ الأبعدون من كلِّ ذامِ

وهم الأرأفونَ بالناس فى الرأ ... فةِ والأحلمون فى الأحلامِ

بسطوا أيدِى النَّوالِ وكَفُّوا ... أيدى البَغْيِ عنهم والعُرَامِ

أخذو القصدَ فاستقاموا عليه ... حين مَالت زَوامِلُ الآثام

يمدح الهاشميين بقوله إنهم يعملون كل خير ، ويتجنبون كل شر ويبتعدون عما يعاب عليه الناس . وهم الذين يرأفون بالرعية ويسعونها بحلمهم ويشملونها بعطفهم ، ويسبغون عليها يد الجود ، ولا يفكرون فى العدوان على أحد ، أو البغى عليه (والعرام هو الجهل) . وقد اعتدل الهاشميون فى كل الأمور ولزموا جانب العدل والحق حين ركب غيرهم متن الشطط والبغى والجور والعسف ؛ (والزوامل الإبل التى تحمل عليها الحمولة ، فيكون الشاعر قد شبه الآثام بالزوامل) .

ومنها :

خيرُ حَيٍّ وميْتٍ من بنى آ   دمَ طُرًّا مأمومِهم والإمامِ

كان ميتا جنازة خير ميتٍ   غَيَّبته مَقَابِرُ الأقْوامِ

وجنينًا ومُرْضعا ساكن المه   د وبعد الرَّضاعِ عند الفِطَامِ

خير مُستَرضِع وخيرَ فَطيم   وجنين أُقِرَّ فى الأرحام

وغلاما وناشئا ثم كهلا   خيرَ كَهْلٍ وناشيء وغلامِ

أنقذ الله شِلْونا من شَفا النـ   ـارِ به نعمةً من المِنْعَامِ

طيبُ الأصل طيبُ العُود فى البنـ   ـيةِ والفرعِ يثْرِبِيٌّ تَهَامِى

يقول إن بنى هاشم خير حى وخير ميت سواء فى ذلك الإمام والمأموم ثم ذكر أن رسول الله كان خير ميت وأكمل إنسان من يوم أن كان جنينا إلى أن انتقل إلى جوار ربه. والشاعر يرجو أن ينجيه الله من عذاب النار بشفاعة رسوله . والمنعام هو الله الذى ينعم على عبيده بالخير والبركات . « والشلو الجلد » « والشفا حرف كل شيء » ثم قال إن الرسول كان طيب الأصل وطيب البنية والتكوين ، طيب الخَلق والخُلق .

* * *

أما بعد فقد رأيت كيف كان الكميت يمدح العلويين وينتصر لهم فى وقت أوجب الأمويون فيه سب علىّ ولعنه ، وتتبعوا كل من عرف بهواه لآل علىّ بالسجن والقتل والتعذيب والاضطهاد والحرمان من كل شيء ، فكان الناس لايجرءون على ذكر على . ولكن بالرغم من

هذا كان الكميت الشاعر الوحيد فى عصره الذى استطاع أن يرفع صوته بمدح الهاشميين والدفاع عن حقهم ، والطعن الشديد على الأمويين فى غير خوف ولا وجل . ولم يقلع عن هذا إلا فترة قصيرة حين شعر بالخطر فاضطر إلى مدح الأمويين . رُوى أنه لما حضرته الوفاة فتح عينيه وقال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .

(٢) كثير

هو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود . قال أبو الفرج [١] « هو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام فى الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعى . وكان غاليا فى التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَمَّقا مشهوراً بذلك » . وقال ابن سلام [٢] فى كتابه طبقات الشعراء « سمعت يونس النحوى يقول كان ابن أبى اسحاق يقول : كان كثير أشعر أهل الإسلام .

أخلاقه وصفاته : كان كُثَيِّر ساذجا سريع التصديق لكل ما يقال له ، وكان كَثِيرَ التيه بنفسه ، عظيم الخيلاء ، كما كان مفرطاً فى القصر دميم الخلقة . قال ابن سلام الجمحى « قال يونس النحوى : كثير أشعر أهل الإسلام كان قصيرا مفرط القصر . روى عن الوقاص أنه قال : رأيت

---

(١) الأغانى ج ٩ ص ٤ .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٠٢ .

كثيراً يطوف بالبيت ، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه »
وقد هجاه الشاعر المعروف بالحزين الكنانى بقوله :

قصير القميص فاحِشٌ عند بيته   يَعَضُّ القرادُ بأَسْتِهِ وهو قائمُ

شاعريته : كان كثير غزير الشعر قويه . ذكر ابن رشيق فى كتاب العمدة « أن مروان بن أبى حفصه كان يقدم كُثَيِّرا فى المدح على جرير والفرزدق » . وقال أبو الفتوح « أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال حدثنى الزبير بن بكار قال كتب إلىّ إسحق بن ابراهيم الموصلى حدثنى ابراهيم بن سعد قال : إنى لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لَوْ رُقِيَ بها مجنونٌ لأفاق ، وروى أبو الفرج أيضا أن ابن أبى عبيدة كان يملى شعر كثير بثلاثين دينارا .

تشيعه : كان كثير شديد الحب لآل على ، قضى حياته كلها وهو معمور القلب بالإخلاص والولاء لهم . روى أنه كان بمكة فأمر بلعن على فرقى المنبر وأخذ بأستار الكعبة وقال :

ببياضِ الدِّماث [1] من بطن ريم   فبخفضِ الشُّجُون من [2] أجام
أَيُسَبُّ المطهرونَ أصــولاً   والكرامُ الخئول والأعمامِ
يأمنُ الطيرُ والحمامُ ولا   يأمنُ آلُ الرسولِ عندَ المقامِ
رحمةُ اللهِ والسـلامُ عليهمْ   كلَّما قامَ قائِم الأسـلامِ

قال أبو الفرج « فلما سمع الناس قوله هذا أنزلوه من المنبر وأثخنوه ضربا بالنعال وغيرها فقال :

إن امرا كانتْ مساوِئُهُ   حُبَّ النـبى لَغَيْرُ ذى عَتْبِ

---

(١) الدماث جمع دمث وهو المكان اللين ذو الرمل .   (٢) الجام موضع فى المدينة .

وبنى أبى حسنٍ ووالدُهم   من طابَ فى الأرْحامِ والصُّلْبِ
أترون ذنباً أن نَسُبَّهُمُ   بل حُبُّهم كفارة الذنب

وقال ابن عبد ربه فى العقد الفريد « ومن الروافض كثير عزة الشاعر ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له فقال: يابنة أخى ، إن عمك كان يحب هذا الرجل ، فأحبيه ، يعنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فقالت: نصيحتك ياعم مردودة عليك ؛ أحبه والله خلاف الحب الذى أحببته أنت ، فقال لها : برئت منك . وأنشد يقول :

برئت إلى الإله من ابن أروى[1]   ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عُمرٍ بَرِئْتُ ومن عَتِيقٍ[2]   غدَاةَ دُعَى[3] أمير المؤمنينا

وقد بلغ من حبه لآل على أنه كان يهب لأطفالهم ما يحصل عليه من جوائز وصلات ومنح وهبات . قال أبو الفرج « كان كثير شيعيا ، وكان يأتى ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول: وابأبى الأنبياء الصغار ! فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأمهم ياعم : هب لى ، فيقول لا ، لست من الشجرة »

علاقته بمحمد بن الحنفية : كان عبد الله بن الزبير شديد الوطأة على العلويين[4] يتتبعهم بكل مكروه ، ويغرى بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم ، فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ، ثم بدا له فحبس ابن الحنفية فى سجن عارم ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بنى هاشم فجعلهم فى محبس

---

(١) ابن أروى : عثمان بن عفان .
(٢) عتيق : أبو بكر .
(٣) دعى لغة فى دعى .
(٤) الأغانى جـ ٩/١٤ .

وملأه حطباً وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلى وسائر شيعة محمد بن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير . فكان ذلك سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أُضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير يومئذ فقال كثير فى ذلك :

لكَ الويل من عيني خُبَيْبٍ وثابتٍ ... وحمزةَ أشباهَ الحِداءِ[1] التوائم

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنكَ عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجنِ[2] عارم

فمن يرَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى ... من الناس يَعْلَمْ أَنَّهُ غيرُ ظالِمِ

سَمِيُّ النَّبِيِّ المصطفى وابن عمهِ ... وفَكَّاكُ أغلالٍ ونفَّاعُ غارِمِ

أبى فهو لا يَشْرِى هُدًى بضلالةٍ ... ولا يتقى فى اللهِ لومةَ لائمِ

ونَحْنُ بحمدِ اللهِ نتلو كتابَه ... حُلُولاً بهذا الخيف خيفِ المحارِمِ

بحيثُ الحَمَامُ آمِنُ الروعِ ساكنٌ ... وحيثُ العدوُّ كالصديقِ المسالم

فما فرحُ الدنيا بباقٍ لأَهْلِهِ ... ولا شِدَّةُ البَلْوَى بضربةِ لازم

ومن قوله يمدح محمد بن الحنفية وقد تلطف به ودعاه إليه وسأله عن أبنائه :

أقرَّ اللهُ عينىَ إذ دَعانى ... أمينُ الله يُلْطِفُ فى السُّؤالِ

وأثنى فى هواىَ علىَّ خيرا ... ويَسْأَلُ عَنْ بَنِىَّ وكيفَ حالِى

---

(١) خبيب وثابت وحمزة أولاد عبد الله بن الزبير : والحداء جمع حدأة وهى الطائر . والتوائم جمع توأم . (٢) قوله عائذ لقب عبد الله بن الزبير لأنه عاذ بالبيت . والمظلوم هو ابن الحنفية وسجن عارم سجن بمكة .

وكيف ذكرت حال أبي خبَيْبٍ   وزِلّةَ فعلهِ عندَ السؤالِ [١]
هو المهديُّ خَبَّرناه كعب   أخو الأحبار في الحقب الخوالي

والبيت الأخير يظهر لنا كيف كان الشيعة يستحلون لأنفسهم الكذب في سبيل تأييد مذهبهم . فأنت ترى كثيراً قد أدعى في هذا البيت أن كعبا خبره بأن ابن الحنفية هو المهدى المنتظر . فلما قيل له ألقيت كعبا ؟ قال : لا ، قيل له : فلم قلت « خبرناه كعب » ؟ قال بالتوهم [٢]

اعتقاده في ابن الحنفية : كان كثير يقدس ابن الحنفية ويجله ويرى أنه هو المهدى المنتظر . ومع أن ابن الحنفية مات سنة ٨١ هـ بالمدينة وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ودفن بالبقيع ، إلا أن كثيرا رفض كما رفض غيره ممن يذهب مذهب الكيسانية أن يصدق ذلك ، وظل معتقدا بأنه حي لم يمت ، يقيم بجبل رَضْوَى وعنده عسل وماء وأن الملائكة تسعى إليه وتراجعه الكلام . وهو بين أسد ونمر يَحْفَظَانِهِ قال :

ألا إنَّ الأئمةَ من قريشٍ   ولاةُ الحق أربعـــةٌ سواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بنيه   همُ الأسباطُ ليس بهم خفاءُ
فسبطٌ سبطُ إيمانٍ وبر   وسبطٌ غَيَّبَتْهُ كربلاءُ
تَغَيَّبَ لا يُرى عنهم زماناً   بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

علاقته بأبي هاشم عبد الله : وكان كثير على درجة كبيرة من الغفلة وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن على يعلم ذلك جيدا فكان يضع الأرصاد على كثير . فلا يزال يؤتى بالخبر من عنده ، فيقول إذا لقيه : كنت في

---

(١) أبو خبيب هو عبد الله بن الزبير .
(٢) الأغاني جـ ٩ / ١٦ .

كذا وكنت فى كذا ، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلام فأتى به أبو هاشم فأقبل به على أدراجه ، فقال له أبو هاشم : كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا ، وقال لك كذا وكذا ، فقال له كثير : أشهد أنك رسول الله » .

مدحه لآل مروان : وكان كثير مع حبه الشديد لآل علىّ يمدح آل مروان ليظفر منهم بالعطايا والمنح . ولا شك فى أنه لم يكن صادقا فى مدحهم ، وكان بنو أمية يعلمون منه ذلك ويحتملونه منه لأنه كان يمدحهم فيحسن مدحهم . قال أبو الفرج[1] « وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يُغيرهم ذلك لجلالته فى أعينهم ولطف محله فى أنفسهم وعندهم » . وقد قال له ابن الحنفية « تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان »قال: « إنما أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب ، وآخذ أموالهم » ومن هذا ترى الفرق عظيما بين كثير والكميت . فالكميت عرض نفسه كما مر بنا للهلاك أما كثير فإنه استطاع أن يجمع بين حبه لآل على وبين رضا آل مروان فلم يتعرض لمثل ما تعرض له الكميت بل عاش آمناً مطمئنا . وقد رحل إلى العراق وقدم مصر واشتهر بكثرة غزله بحسناء تسمى عَزّة حتى قرن بها فأصبح يعرف باسم (كُثَيِّر عَزّة)

وفاته : توفى كثير عام ١٠٥ ﻫ فى نفس اليوم الذى توفى فيه عكرمة مولى ابن عباس . قال أبو الفرج : « فاجتمعت قريش فى جنازة كثير ، ولم يوجد لعكرمة من يحمله . وقيل مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس »

---

(١) الأغانى ﺣ ٩/٤ .

(٣) العبلى

هو عبدالله بن عمر ينتهى نسبه إلى عبدالله بن شمس بن عبد مناف . فهو أموى النسب ولكنه كان علوى الهوى . ويكنى أبا عَدِىّ . وهو كما قال صاحب الأغانى شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين .

تشيعه : كان أبو عدى محباً لآل على ، مخلصا فى حبه لهم . وقد جر عليه هذا سخط الأمويين فاضطهدوه واحتقروه ، وأقصوه عنهم ، ومنعوا عنه عطاءهم وقد احتمل كل هذا دون أن تلين قناته . قال أبو الفرج وكان أبو عدى الأموى الشاعر يكره مايجرى عليه بنو أمية من ذكر على ابن أبى طالب صلوات الله عليه ، وسبه على المنابر ، ويظهر الإنكار لذلك فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوه عنه فانتقل إلى المدينة وقال فى ذلك .

شَرَّدوا بى عند امتداحِى عليًّا ورأوا ذاك فىّ داءً دَوِيَّا
فورَبىّ لا أبرحُ الدهرَ حتَّى تُخْتَلَى[1] مُهجتى بحبى عَلِيَّا
وبنيه لحبِّ أحمــدَ إنى كنتُ أحبَبْتهم بحبِّى النبيَّا
حُبُّ دين لا حُبُّ دنيا وشر الـ حُبِّ حبٌّ يكون دُنْيَاوِيَّا
صاغنى اللهُ فى الذؤابةِ منهم لا زنيا ولا سنيدا دعيًّا[2]
عَدَوِيًّا خالى صريحا وجدِّى عبدُ شمس وهاشم أَبَوِيَّا
فسواءٌ علىَّ لست أبالى عَبْشَمِيًّا دُعِيت أم هاشمِيًّا

---

(١) تقطع مهجتى : يقول إنه يموت على حبهم .
(٢) الدعى الملصق بالقوم اللصيق بهم دون أن يكون منهم .

وكان أحيانا يمدح الأمويين لينال منهم شيئا من العطاء ولكنهم كانوا يعرضون عنه ويهملون أمره . وإذا منحوه فالنزر اليسير . لقد مدح هشام بن عبد الملك بقصيدة جاء فيها :

عبد شمس أبوك وهو أبونا   لا نناديك من مكان بعيدِ
والقرابات بيننا واشجاتٌ   مُحْكَمَاتُ القوى بحبل شديد

وظل العبلى واقفا بباب هشام بينما سائر الناس قد سمح لهم بالدخول وأخيرا دعى فمنحه هشام قدرا يسيرا من المال لم يرضه لنفسه فانصرف وقال :

خَسَّ حظى أن كنتُ من عبدِ شمسٍ   ليتنى كنت من بنى مخزومِ
فأفوزَ الغداةَ فيهم بسهمٍ   وأبيعَ الأبَ الكريمَ بلومِ

وبنو مخزوم سبقوا أبا عدى فى الدخول على هشام فأجزل لهم العطاء

* * *

ولما سقطت الدولة الأموية رثاها بقصيدة قوية جاء فيها :

فبنو أمية خير من وطىء الثرى   شرفا وأفضل ساسة أمراؤها

* * *

ولما أفضت الدولة إلى بنى هاشم وجدّوا فى تعقب الأمويين والفتك بهم حتى خشى صاحبنا على حياته من الهلاك إذ أنه أموى النسب كما قدمنا . قال صاحب الأغانى « كان أبو عدى الذى يقال له العبلى يجفوا فى أيام بنى مروان ، وكان الأمر فى قتلهم جد إلا من هرب وطار على وجهه فخاف أبو عدى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة فتوارى . وأخذ

داود بن على حرمه وماله ، فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح ، فدخل عليه فى غمار الناس متنكرا وجلس حَجْرَةً (ناحية) حتى تقوض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته ، فوثب إليه أبو عدى فوقف بين يديه وقال قصيدة جاء فيها :

إلى أهلِ الرسولِ غدتْ برَحْلى ... عُذافِرةٌ ترامَى بالصَّحارِى

ومنها :

أتؤخَذُ نِسْوَتى ويُحاز مالى ... وقد جاهَرْتُ لو أغنى جهارِى

وأُذعَرُ أن دُعيتُ لعبدِ شمسٍ ... وقد أَمْسَكْتُ بالحَرَمِ الصَّوارِى

بنصرةِ هاشِمٍ وبحق صِهْرٍ ... لأحمدَ لَفَّهُ طِيبُ النِّجارِ

ومنزلُ هاشِمٍ من عبد شمسٍ ... مكانُ الجيدِ من عُلْيا الفِقارِ

فقال له السفاح : من أنت ؟ فانتسب له فقال له : حق لعمرى أعرفه قديما ومودة لا أجحدها ، وكتب إلى داود بن على بإطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه وإكرامه ، وأمر له بنفقة توصله المدينة»[1] .

غضب المنصور عليه : ولكن المنصور سمع بقصائده التى يرثى بها بنى أمية فاستقدمه إلى قصره واستنشده تلك القصائد فقال له : اعفنى يا أمير المؤمنين ، ولكن المنصور أبى إعفاءه ، فأنشد إحدى هذه القصائد بعد أن أمنه المنصور على حياته ، حتى إذا وصل إلى قوله :

فبنو أميّةَ خير من وَطِىءَ الثرى ... شرفا وأفضلُ ساسةٍ أمراؤُها

قال له : اخرج عنى لا قرب الله دارك . فخرج من عنده حتى اذا جاء

(١) الأغانى ج ١١/٢٩٣ .

المدينة وجد محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج على المنصور فانضم إليه وبايعه . وكان محمد بن عبد الله شديد الميل للعبلى ، فعينه واليا على الطائف فذهب إليها وأقام بها حتى انهزم محمد بن عبد الله فشعر صاحبنا بالكارثة التى تعرض لها فهرب إلى اليمن .

(٤) السيد الحميرى

هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، يكنى أبا هاشم ويلقب بالسيد . وهو يمنى من حمير . قال :

إنى امرؤ حميرى غيرُ مُؤتَشِبٍ ... جَدِّى رُعَيْنٌ واخوالى ذوو يَزَنَ
ثم الولاء الذى أرجو النجاةَ به ... يومَ القيامةِ للهادِى أبى الحسنِ

مولده : ولد السيد الحميرى من أبوين إباضيين[١] بالبصرة عام ١٠٥ هـ فى نفس السنة التى مات فيها كثير . وكان أبواه يكفران عليا ويسبانه . روى الأصفهانى[٢] عن اسماعيل بن الساحر راوية السيد أنه قال « كنت عنده يوما فى جناح له ، فأجال بصره ثم قال ، : يا إسماعيل ، طال والله ما شتم أمير المؤمنين علىّ فى هذا الجناح . قلت : ومن كان يفعل ذلك ؟ قال : أبواى » وفى ذلك يقول :

لعن الله والدىَّ جميعـــــا ... ثم أصلاهما عَذابَ الجحيم

شاعريته : والسيد الحميرى شاعر مفلق مطبوع ، جيد الشعر إلى أبعد حد ، كثير القصيد . قال الجاحظ فى كتاب البيان[٣] والتبيين

(١) قوم من الخوارج يسبون عليا ويكفرونه .
(٢) الأغانى . (٣) البيان والتبيين جـ ١/٥٤ .

« والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى ، والسيد الحميرى ، وأبو العتاهية وابن أبى عيينة » وقال أبو الفرج « وكان شاعرا متقدما مطبوعا ، يقال بأن أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم » وكان الأصمعى يقول « لولا مذهبه ولولا ما فى شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته » .

ونحن الآن نقرأ كثيرا لأبى العتاهية ، ولكننا لا نكاد نجد شيئا نقرأه للسيد ، فقد ضاع شعره ، وماتت شهرته ، واندثرت أخباره وقبر فى زوايا النسيان ، وذلك لأن شعره حوى كثيرا من السب للصحابة فهجره الناس خوفا على أنفسهم من الكفر . قال صاحب الأغانى : « وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره ، وما يستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفا وتوقيا » .

تشيعه : نشأ السيد الحميرى فى بيت كثر فيه سب على ولعنه ، فلم يسلك مسلك أبويه فى هذا ، بل مال بطبيعته إلى آل على ، وأحبهم حبا شديدا وأخلص فى حبه ، وأفرط فى ولائه . وقد عرف أبواه ذلك منه فهما بقتله . وكان على مذهب الكيسانية يدين برجعة محمد بن الحنفية . قال الشهرستانى[1] عند الكلام عن محمد بن الحنفية « كان السيد الحميرى

---

(١) الملل والنحل ص ٥٦ .

يعتقد أنه لم يمت وأنه فى جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » وقال صاحب فوات الوفيات « كان رافضيا زائغا عن القصد له مدائح جمة فى آل البيت » . وقال ابن حزم[1] « ومنهم من قال بنبوته « أى على بن أبى طالب » وبتناسخ الأرواح ومنهم السيد الحميرى » . والرأى عندى أن ابن حزم لم يوفق إلى الصواب فيما ذكر عن السيد ، فأخبار هذا الشاعر وقصائده التى وصلت إلينا لا تؤيد قول ابن حزم فيه بل هى تثبت إثباتا قاطعا أن السيد كان يؤمن بعلى كوصى للرسول وكخليفة له بالنص وأن من خالف أمر الرسول فقد كفر ، ولهذا انهال على بعض الصحابة ممن ناهضوا عليا بالطعن والسب واللعن .

* * *

عاش السيد طوال حياته يشيد بمناقب آل البيت ، ويذود عنهم ، ويدافع عن حقوقهم المهضومة ، وكان قويا فى دفاعه ، جريئا فى إظهار حبه وإخلاصه . وقد بلغ به حبه لآل على أنه كان إذا رأى رجلا ينال منهم لا يتأخر عن قتله إن استطاع إلى ذلك سبيلا . روى أنه كان مسافرا إلى الأهواز على ظهر سفينة ، وكان معه رجل أظهر بغضه لعلى ، فلما كان الليل قام هذا الرجل ووقف على حرف السفينة ليبول ، فما كان من السيد الحميرى إلا أن دفعه فهوى المسكين فى الماء وغرق . وسمع مرة رجلا ينال من عثمان فقال :

شَفَيْتَ من نعثلٍ فى نَحتِ أَثْلَتِهِ — فاعْمَدْ هُديتَ إلى نحتِ الغَوِيَّيْنِ
اعْمَدْ هُدِيتَ إلى نَحْتِ اللذينِ هما — كانا على الشَّرِّ لو شاءا غَنِيَّيْنِ

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١١٤ .

★

وقال وهو يحتضر :

بَرِئْتُ إلى الإلهِ منَ ابنِ أرْوَى ... ومِن دينِ الخوارِجِ أجْمَعينـــا

***

وكان السيد كما رأيت مما تقدم يدين بإمامة محمد بن الحنيفة ويعتقد أنه هو المهدى المنتظر . فهو من هذه الناحية يتفق مع كثير فى المذهب ، ونتج عن هذا أن بعض أشعار أحدهما تنسب للآخر . وللسيد الحميرى قصيدة جيدة خاطب فيها ابن الحنفية مستعجلا عودته لأنه غاب ستين عاما ، وقد أضر غيابه بقومه . قال :

ألا قلْ للوصىِّ فدتْكَ نفسى ... أطلْتَ بذلكَ الجبلِ المقامَا

أضرَّ بمعشرٍ والَوْكَ منا ... وسَمَّوْكَ الخليفةَ والإمامَا

وعادَوا فيكَ أهلَ الأرضِ طرًّا ... مقَامُك عنهم ســتِّين عامَا

وما ذاقَ ابنُ خولةَ طعمَ موتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عظامَا

لقد أوْفَى بمورقِ شِعبِ رَضوى ... تراجِعُه الملائكةُ الـكلامَا

وإنّ له به لَمَقِيلَ صدقٍ ... وأنديةً تحـــدِّثه كِرامَا

هدانا اللهُ إذ جُرْتم لأمْرٍ ... به وليه نلتمس التَّمـــامَا

تمام مودةِ المهـــدىِّ حتى ... تروا راياتِنا تَتْرى نِظـامَا

وقد نسب الدكتور طه[1] حسين بك هذه القصيدة إلى كثير . قال « وأنا أروى لك شيئا من شعر كثير فيها « الرجعة » فانظر إلى هذه الأبيات الجيدة التى يتعجل بها عودة ابن الحنفية إلى الأرض ليرفع فيها لواء بنى هاشم » ثم أورد القصيدة السالفة وعلق عليها بقوله « ولعلك

---

(١) حديث الأربعاء حـ ١ / ٣٦٥ .

تلاحظ معى أن غياب محمد بن الحنفية وإن كان أضر بقوم فليس كثير من هؤلاء القوم »․ ولكن نسبة هذه القصيدة إلى كثير خطأ شنيع لأن نظرة بسيطة فيها تنفى نسبتها إلى كثير نفيا باتا . أنظر إلى ما ورد فيها .

وعادوا فيك أهل الأرض طرا   مقَامُك عنهم ستين عاما

فإذا كان محمد بن الحنفية مات عام ٨١ هـ لزم أن يكون قائل هذا الشعر موجودا فى عام ١٤١ هـ . ومن حيث إن كثيرا مات فى عام ١٠٥ هـ ولم يعش ستين عاما بعد ابن الحنفية ، فمن المؤكد أنه لم يقل هذا الشعر .

* * *

كان السيد لا يسمع بمنقبة لعلى إلا نظم فيها شعرا . وحدث أنه كان فى مجلس ونسب إليه الرفض فأنكر ، فطلب منه بعض الحاضرين أن يمدح أبا بكر وعمر . فقال فى ذلك مشيرا إلى حادثة غديرِ خُم ، وقد سبق أن تكلمنا عنها عند الشعر المنسوب إلى الإمام على .

إذا أنا لم أحفظْ وَصاةَ محمدٍ   ولا عَهدَهُ يومَ الغَديرِ المؤكدَا
فإنى كمن يَشْرِى الضلالةَ بالهدَى   تَنَصَّرَ من بعدِ التّقى وَتَهَوّدَا
ومالى وتيم أو عدى وإنّما   أُولُو نعمتى فى الله من آلِ أحمدَا
تَتِم صلاتِى بالصَّلاةِ عليهمُ   وليستْ صلاتِى بعد أن أتَشهّدَا
بكاملةٍ إن لم أصلِّ عليهمُ   وأدعُ لهم ربا كريما مُمَجّدَا
بذلتُ لهم وُدِّى ونُصحى و نُصْرَتِى   مَدَى الدهرِ ما سُمِّيتُ ياصاحِ أحمَدَا
وإن امرأً يلْحَى على صدق ودِّهِم   أحقُّ واوْلَى فيهم أن يُفَنَّدَا
فإن شئتَ فاختر عاجل الغَمِّ ضَلّةً   وإلا فأَمْسِكْ كى تصانَ وتُحْمَدَا

ثم نهض مغضبا .

وسمع السيد مرة رجلا يقول : أشعر الناس من قال :

محمد خيرُ من يمشى على قدمٍ   وصاحِبَاهُ وعثمانُ بْن عفانا

فوثب السيد وقال : أشعر والله منه الذى يقول :

سائلْ قريشًا إذَا ما كنتَ ذَا عَمَهٍ   من كانَ أثبتَها فى الدينِ أوتَادَا
من كان أعلَمها علما وأحلَمها   حلما وأصدَقَها قولاً وميعادَا
إن يَصدُقوكَ فلَن يَعدُو أبا حسنٍ   إنْ أنتَ لم تلْقَ للأَبْرَارِ حُسَّادَا

* * *

وكان السيد يجلس مع قوم أخذوا يتحدثون عن الزرع والنخل ، فهم بالانصراف فسئل عن سبب ذلك فقال .

إنى لأكرهُ أن أُطيلَ بِمجلسٍ   لا ذِكْرَ فيهِ لِفَضْلِ آلِ محمدِ
لا ذكر فيهِ لأحمدٍ ووصيِّهِ   وبنِيهِ ذلكَ مجلسٌ نطفٌ ندِى
إن الذى ينسَاهُمُ فى مجلس   حتى يُفارِقَهُ لَغَيْرُ مُسَدَّدِ

ومن قوله فى محمد بن الحنفية .

يُغيَّبُ عنهمُ حتى يقولُوا   تَضَمَّنَهُ بِطَيْبَةَ بَطْنُ لحدِ
سِنينَ وأَشْهرًا ويُرَى بِرَضْوَى   بِشِعب بين أَنْمارٍ وأُسْدِ
مُقيمٌ بين آرامٍ وعِينٍ   وَحفَّانٍ تروح خِلالَ رُبْدِ
تُراعِيها السباعُ وليْسَ مِنها   مُلاقِيهِنَّ مُفْتَرِسًا بِحَدِّ
أمِنَّ به الرَّدى فرتعن طورا   بلا خوفٍ لدى مرْعىً وَوِرْدِ

حلفتُ برب مكةَ والمُصلَّى ... وبيتٍ طاهرِ الأركانِ فَرْدِ
يَطوفُ به الحجيجُ وكلَّ عام ... يَحُلُّ لدَيْه وفَدٌ بعد وَفْدِ
لقد كان ابنُ خولةَ غيرَ شكٍّ ... صَفاءَ ولايتى وخُلوصَ وُدِّى
فما أحــدٌ أحبُّ إلىَّ فيما ... أُسِرُّ وما أبوحُ به وأُبْدى

وهى طويلة ترى فيها خيالا ممتعا أخذ ينمو يوما بعد يوم حتى أصبح عند عامة المسلمين حقائق لا تقبل الشك ولا يأتيها الباطل .

مدحه للعباسيين : ولما كان السيد يؤمن برجعة ابن الحنفية ، لم يجد بأسا فى مدح العباسيين ، فقال فيهم القصائد الرائعة ، ونال منهم الجوائز والصلات . وكان العباسيون يعرفون أنه غير صادق فى مدحهم لكنهم كانوا يتغاضون عنه . وقد كان لا يرى مانعا من كسب عطف العباسيين وانتظار ساعة الفرج والخلاص ، تلك الساعة التى اشتاق كثيرا إليها ، وهى التى يرجع فيها محمد بن الحنفية يقدمه اللواء ، ليملأ الأرض عدلا وصلاحا كما ملئت جورا وفسادا . وهو فى موقفه من العباسيين يشبه تماما موقف كثير من الأمويين .

وفاته : توفى السيد ببغداد عام ١٧٣ هـ فى أوائل خلافة الرشيد .

(٥) دعبل الخزاعي

هو دِعْبِلُ بن علي بن رزين بن سليمان ، ويكنى أبا علي . ينتهي نسبه إلى خزاعة فهو يمني ولذلك كان يتعصب لليمانية .

مولده : ولد عام ١٤٨ هـ ببلدة الطيب وهي بين واسط وبغداد .

شاعريته : قال ابن خلكان « كان شاعرا مجيدا ، إلا أنه كان بذيء اللسان ، مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس » وقال أبو الفرج[1] « شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان » وهو تلميذ مسلم بن الوليد الأنصاري وعليه تخرج . وكان البحتري يفضله على مسلم . قال « دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم » فقيل له : وكيف ذاك ، قال « لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم[2] » .

أخلاقه وصفاته : كان دعبل هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ، ولا من الوزراء ولا من أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أو عظيم . هجا الرشيد والمأمون والمعتصم . وكان كثير الأسفار ، أقام مدة ببغداد ثم رحل منها إلى دمشق ومصر كما سافر إلى خراسان .

تشيعه : قال أبو الفرج « وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه » وقد نظم قصيدة في مدح آل البيت تعتبر من أحسن الشعر وأسنى المدائح ، قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان

---

(١) الأغاني جـ ١٨/٢٩ .

(٢) الأغاني جـ ١٨/٣٧ .

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه فسمع بذلك أهل بلدة قم « وهى بين خراسان والعراق » فقصدوا دعبلا وعرضوا عليه أن يبيعهم هذا الثوب بثلاثين ألف درهم فأبى فألحوا عليه ولكنه أمعن فى الإباء ، ففكروا فى أن يأخذوه غصبا ، عندئذ اضطر إلى إجابتهم إلى ما طلبوا على أن يعطوه كمًّا يضعه فى كفنه . وقد قيل إنه كتب هذه القصيدة فى ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون فى أكفانه . قال ياقوت : « ونسخ هذه القصيدة مختلفة فى بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة ، وإنا موردون هنا ما صح منها . قال :

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَت من تِلَاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ

لآلِ رَسولِ اللهِ بالخَيْفِ من مِنًى ... وبالرُكْنِ والتَّعْرِيفِ والجَمَراتِ

ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ ... وحمزةَ والسَّجادِ[1] ذى الثفناتِ

ديارٌ عفاها كل جَوْنٍ مُباكرٍ ... ولم تَعْفُ للأَيامِ والسَّنواتِ

قِفَا نسألِ الدارَ التى خَفَّ أَهْلها ... متى عهدُها بالصَّوْمِ والصَّلَواتِ

وأينَ الأُولَى شَطَّتْ بِهِم غُرْبَةُ النَّوى ... أفانينَ فى الآفاقِ[2] مُفْتَرِقاتِ

هُمُ أهلُ ميراثِ النبيِّ إذا اعتَزَوْا ... وهُمْ خيرُ قاداتٍ وخيرُ حُماةِ

وما الناسُ إلا حاسِدٌ ومُكَذِّبٌ ... ومضْطَغِنٌ ذو إحْنَةٍ وتِراتِ

إذا ذَكروا قَتْلَى بِبَدْرٍ وخَيْبَرٍ ... ويوم حُنينٍ أَسْبَلُوا العَبَراتِ

قبورٌ بكُوفاتٍ وأخْرَى بِطَيْبَةٍ ... وأُخْرَى بفخٍّ نالَهَا صَلواتى

---

(١) هو على بن عبد الله بن العباس سمى بذلك لكثرة السجود يريد أن ركبتيه تأثرتا بالسجود .

(٢) شطت بعدت وأفانين حال مما قبله .

وقبرٌ ببغداد لِنفسٍ زَكِيَّةٍ تضمَّنها الرَّحمنُ فى الغُرُفاتِ
فأَمَّا المُصِمَّاتُ التى لستُ بالغاً مبالِغَها مِنِّى بِكُنْهِ صِفاتِ
إلى الحشرِ حتى يبعَثَ اللهُ قائماً يُفَرِّج منها الهمَّ والكُرُباتِ
نفوسٌ لدى النَّهْرَينِ من أرضِ كربلا مُعَرَّسهم فيها بِشطٍّ فُراتِ
تقسَّمَهُمْ رَيْبُ الزمانِ كما ترَى لَهُمْ عُقْرَةٌ مَغْشيَّةُ الحُجُراتِ
سِوى أنَّ مِنْهُمْ بالمدِينَةِ عُصْبَةً مَدى الدَّهْرِ أنضاءٌ عن الأَزَماتِ
قليلةُ زُوَّارٍ سِوى بعضِ زُورٍ من الضِّبْعِ والعِقْبانِ والرَّخَماتِ
لَهُمْ كلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجعٍ لُهمْ فى نَواحِى الأرضِ مُختلِفاتِ
وقد كان منهمْ بالحجازِ وأهلِها مَغاوِيرُ[1] يَختارُونَ فى السَّرَواتِ
تنكَّبُ لأْوَاءُ[2] السِّنين جوارَهُم فلا تصطليهم جَمْرَةُ الجَمَراتِ
إذا وَرَدوا خيلاً تَشَمَّسَ بالقَنا مَساعِرُ جَمْرِ الموتِ والغَمَراتِ
وإن فَخَرُوا يوماً أتَوْا بمُحَمَّدٍ وجبريلَ والفرقانِ ذى السُّوَراتِ
مَلامكَ فى أهْلِ النبيِّ فإنَّهم أَحِبَّاىَ ما عاشُوا وأهلُ ثِقاتِى
تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْداً لأَمْرِى فإنَّهم علَى كُلِّ حالٍ خِيرَةُ الخِيَراتِ
فيارَبِّ زِدْنِى من يَقِينِى بصيرةً وزِدْ حُبَّهُمْ يارَبِّ فى حَسَناتِى
بِنَفْسِى أَنْتُمْ مِنْ كُهولٍ وفِتْيةٍ لِفَكِّ عُناةٍ أو لِحَمْلِ دِيَاتِ
أُحِبُّ قَصِىَّ الرَّحمِ من أجْلِ حبِّكم وأَهْجُر فيكم أُسْرَتى وبَناتى

---

(١) مغاوير جمع مغوار : المقاتل الكثير الغارات .

(٢) اللأواء : الشدة وضيق العيش .

وأَكتُم حُبِّيكم مَخَافةَ كاشِحٍ | عنيدٍ لأهلِ الحقِّ غيرِ مُوَاتِ
لقد حَفَّتِ الأيامُ حَوْلي بَشرِّها | وإنِّى لأَرجُو الأمْنَ بعد وفاتِى
أرَى فيئَهم فى غيرِهم مُتَقَسَّماً | وأَيدِيهم من فيئِهم صَفِراتِ
فآلُ رَسولِ اللهِ نُحفٌ جُسومُهم | وآلُ زِيادٍ حُفَّلُ[1] القَصَراتِ
بناتُ زِيادٍ فى القُصُورِ مَصُونَة | وآلُ رسولِ اللهِ فى الفَلَواتِ
إذا وُتِرُوا مَدُّوا إلى أَهْلِ وِتْرِهم | أَكُفًّا عن الأوتارِ مُنْقَبِضاتِ
فلولا الذى أرجوهُ فى اليومِ أوْ غدٍ | لقَطَّعَ قلبِى إثْرَهُمْ حَسَراتِى
خروج إمام لامحالةَ خارجٍ[2] | يقومُ على اسمِ اللهِ والبَرَكاتِ
يُمَيِّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ | ويَجْزِى على النَّعْمَاءِ والنَّقِمَاتِ
سأَقْصُرُ نفسى جاهِدا عَن جِدَالِهم | كَفَانِىَ ما أَلْقَى من العَبَراتِ
فيا نَفْس طِيبِي ويا نفْس أبشِرى | فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هُوَآتِ
فإن قَرَّبَ الرحمنُ من تلكَ مُدَّتى | وأَخَّرَ من عُمْرِى لطُولِ حياتى
شُفِيتُ ولم أَتْرُكْ لنَفْسِى رَزِيَّةً | ورَوَّيْتُ منهم مُنْصُلى وقَنَاتِى
أحاولُ نَقْلَ الشَّمْسِ من مُسْتَقَرِّهَا | وأُسْمِعُ أحْجَارًا من الصَّلِدَاتِ
فمن عارفٍ لم ينْتَفِعْ ومُعَانِدٍ | يَميلُ مع الأهواءِ والشُّبُهاتِ
قُصَارَاى منهم أنْ أموتَ بِغُصَّةٍ | تَرَدَّدُ بين الصَّدْرِ واللَّهَوَاتِ
كأنك بالأضلاعِ قد ضاقَ رَحْبُها | لِما ضُمِّنَت من شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

---

(١) جمع قصرة وهى العنق .

(٢) خارج صفة لامام وخبر لمحذوف تقديره واقع

فأنت تلمح فى هذه القصيدة أن دعبلا كان يرى رأى كثير والسيد الحميرى من أن هناك إماما سيرجع ويقوم على اسم الله والبركات ، يزيل ماوقع على العلويين من ظلم واضطهاد ، وينتقم من أعدائهم شر انتقام . وكان دعبل يعلل نفسه بهذه الآمال ويعزيها ويواسيها بخروج إمام لامحالة خارج . ولم يسلك دعبل سبيل كثيّر والسيد الحميرى فى هجاء الصحابة وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والطعن فى أعدائهم من أمويين وعباسيين . وقد بكى على بن موسى الرضاء بكاء شديدا حينما أنشده دعبل هذه القصيدة ، وتجلى حزنه وجزعه ، وارتفع عويل النساء وصياحهم فكان من هذا منظر مؤثر . وفى هذه القصيدة يقول أبو الفرج [٢] « وقصيدته مدارس آيات خلت من تلاوة . من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام » . وقال ياقوت (قصيدته التائية فى أهل البيت من أحسن الشعر وفاخر المدائح)

وفاته : وظل دعبل طول حياته مرهوب اللسان ، خائفا من هجائه الخلفاء ، فقضى دهره كله هاربا متواريا . . كان يقول « أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنه لست أجد أحدا يصلبنى عليها »

مات سنة ٢٤٦ ﻫ

---

(١) الأغانى ﺟ ١٨/٢٩

(٦) ابن الرومى

هو على بن العباس . ولد ببغداد عام ٢٢١ هـ وتوفى بها عام ٢٨٤ هـ فأدرك ثمانية خلفاء من بنى العباس . وكانت الخلافة العباسية فى تلك الأيام قد سقطت مكانتها إلى الحضيض ، وزالت هيبتها وانعدم نفوذ الخلفاء وانحلت الامبراطورية الإسلامية وقامت على أنقاضها دول مستقلة

شاعريته: كان ابن الرومى قوى الشاعرية ، يغوص على المعانى غوصا ويأتى بما يثير الإعجاب فى النفوس . وقد ترك شعراً كثيرا جمع فى ديوان ضخم .

أخلاقه وصفاته: كان ابن الرومى يتطير ويفرط فى التطير وقد عرف أصحابه منه ذلك فركبوه بالدعابة والسخرية . وكان ابن الرومى جريئا جدا فى هجاء الأمراء والوزراء والعظماء ، لم يسلم من لسانه أحد من معاصريه . وبينه وبين دعبل شبه كبير فى هذا الباب .

ثقافته وتهذيبه : أخذ ابن الرومى بقسط وافر من العلوم والمعارف فألم بالفلسفة إلماما جيدا ظهر أثره فى شعره كما ألم بقسط وافر من الشعر وحفظ القرآن فى صباه ، ووعى قدرا وافرا من التاريخ والأدب .

تشيعه : كان ابن الرومى محبا لآل على . وقد ورث هذا الحب عن أبويه ، فقد كانت أمه من أصل فارسى والفرس بطبيعتهم ميالون إلى آل على . وسمى عليا وهو أحب اسم عند الشيعة . ولذلك نشأ على ما نشأ عليه أبواه من ولاء وإخلاص لآل البيت وكان غاضبا على العباسيين ، ساخطا عليهم ، يتمنى زوالهم ويشتهى ذهابهم ، ويؤمل أن تقوم على

أنقاض الخلافة العباسية خلافة علوية . وله قصيدة جيمية يرثى بها يحيى بن عمر بن حسين بن علي . وكان قد ثار فى وجه العباسيين ، بعد أن حرمه العباسيون من المال حتى أملق إملاقا شديدا وعانى شظف العيش وقسوة الفقر . وكان يحيي محبوبا من الناس لما امتاز به من صفات حميدة ، وخلال كريمة . وقد هزم وقتل وحملت رأسه إلى بغداد وعلقت على عمود ، فلما رآها البغداديون هموا بالثورة فبادر أولو الأمر بإنزالها ، وقد ثار خاطر ابن الرومى وعظم ألمه لما يقع على آل البيت من نكبات جسام من حين إلى حين ، فجادت قريحته بقصيدة فى منتهى القوة والروعة نذكر منها :

أمامَكَ فانظرْ أىَّ نهجيْكَ تَنْهَجُ ... طريقَان شتَّى ، مستقيمٌ وأعوجُ
ألاَ أيُّهذَا الناس طالَ ضريرُكم ... بآلِ رسولِ اللهِ فاخشَوْا وارتجُوا
أكلُّ أوانٍ للنبيِّ محمد ... قتيلٌ زكيٌّ بالدماء مُضَرَّجُ
تَبيعون فيه الدينَ شر أئمة ... فللهِ دينُ اللهِ قد كادَ يَمْرَجُ
بنِي المصطفى ! كم يأ كلُ الناسُ شِلْوكُم ... لِبَلْوا كُمُ — عما قليل — مُفرِّجُ
أما فيهمُ راعٍ لحقِّ نبيِّـــهِ ... ولا خائفٌ من ربه يَتَحَرَّجُ
ألا خابَ من أنساه منكم نصيبَهُ ... متاعٌ من الدنيا قليلٌ وزَبْرَجُ
أبَعْدَ المكنَّى بالحسين شهيدكم ... تضيءُ مصابيحُ السماءِ فَتُسْرِجُ
وكيفَ نُبَكِّى فائزًا عند رَبِّه ... له فى جِنان الخلدِ عيشٌ مُخَرْفَجُ (١)
وقد نال فى الدنيا سَناءً وصيةً ... وَقامَ مَقَامًا لَمْ يَقُمْهُ مُزَلَّجُ
فإنْ لا يكنْ حَيًّا لدُنْيَا فإنَّه ... لدَى اللهِ حَىٌّ فى الجِنَانِ مُزَوَّجُ
وكنا نُرَجِّيهِ لِكَشْفِ عَمَايةٍ ... بأمثالِهِ أمثـــالُها تَتَبَلَّجُ

أبيتُ إذا نامَ الخليُّ كأنّما ... تُبطّنُ أجفانى سيالٌ وعوسجُ

أيحيَى العُلَى لذكراكَ لهفةٌ ... يُباشِرُ مكواها الفؤادُ فينضجُ

أحين تراءتكَ العيونُ جلاءها ... وأقذاءها أضحتْ مراثيكَ تُنسجُ

نفسِى وإن فاتَ الفداءُ بكَ الردَى ... محاسنك التى تمج فتنهجُ

لمن تستجِدُّ الأرضُ بعدَكَ زينةً ... فتصبح فى أثوابِها تتبرّجُ

سلامٌ وريحانٌ ورَوْحٌ ورحمةٌ ... عليكَ وممدودٌ من الظل سَجْسَجُ

ولا برحَ القاع الذى أنتَ جارُه ... يرف عليك الأقحوانُ المُفلَّجُ

ومنها فى الطعن على العباسيين :

اجنُوا بنى العباسِ من شنآنِكمْ ... وأوكوا على مافى العُباب وأشرجُوا

وَخلوا ولاةَ السوءِ منكم وغيهم ... فأحْرِ بهم أن يغرقُوا حيث لجّجُوا

نظارِ لكم أن يُرجعَ الحقَّ راجعٌ ... إلى أهلهِ يوماً فتشجُوا كما شَجُوا

على حينَ لا عذرَى لمعتذِريكم ... ولا لكمُ من حجةِ اللهِ مخرَجُ

فلا تلقَحُوا الآنَ الضغائنَ بينكم ... وبينَهمُ إنَّ اللواقِح تنتِجُ

غُرِرْتم لأنْ صدَّقتُمُ أن حالةً ... تدُوم لكم، والدهرُ لونانِ أخرَجُ

لعَلَّ لهم فى مُنطوَى الغيبِ ثائراً ... سيَسمُو لكم والصبحُ فى الليل مُولَجُ

بمَجْرٍ تضيقُ الأرضُ مِنْ زَفراتِه ... له زجلٌ ينفِى الوحوشَ وهزمَجُ

إذا شِيمَ بالأبصار أبرقَ بيضُه ... بوارقَ لا يطيعهن المُجمجَمُ

يؤيده ركنان ثبْتانِ ، رجلة ... وخيلٌ كإرسالِ الجرادِ وأوْشجُ

عليها رجالٌ كالليوثِ بسالةً ... بأمثالِها يُثنَى الأبىُّ فينعجُ

تَدانوا فما للنفع فيهم خصاصةٌ ... تنفسه عن خيلهم حينَ تَرْهجُ

فيدرِكُ ثأرَ اللهِ أنصارُ دينِهِ ... ولله أوسٌ آخرون وخَزْرجُ

ويَقْضِى إمامُ الحقِّ فيكم قضاءَه ... تماماً وما كُل الحوامِلِ تخْدَجُ

وتظْعَنُ خوف السَّبْيِ بعدَ إقامةٍ ... ظعائنُ لم يُضْرَبْ عليهن هَوْدَجُ

ومنها :

أفِى الحقِّ أن يمسُوا اخماصاً ، وأنتُمُ ... يَكادُ أخوكم بطنُهُ يتَبَعَّجُ

تمشون مُخْتَالِين فى حُجُراتِكم ... ثقالَ الخطَى أكفا لُكم تترجْرجُ

وليدُهم بادِى الضّوى ووليدُكم ... من الرِّيف رَيَّان العظامِ خدَلَّجُ

تذودونهم عن حَوْضِهم بسيوفِكم ... ويشرَعُ فيه أرْتَبِيلُ وأبْلَجُ

فقد ألجئتهم خِيفَةَ القتلِ عنكُمُ ... وبالقوْمِ حاجٌ فى الحيازِم حُوَّجُ

ومنها :

أبى الله إلا أن يَطيبوا وَتَخْبُثُوا ... وأن يَسْبِقُوا بالصالحاتِ وَيَفْلِجُوا

وإن كنتمُ منهم وكان أبوكُمُ ... أباهُم فإن الصَّفْو بالرَّنْق يُمزَجُ

فلن تَعدَموا ماحنَّتْ النيبُ فتْنَةً ... تحشى كما حشى الحريقُ المؤرَّجُ

وقد بدأت لو تُزْجَرُون بريحها ... بوائجها من كل أوْبٍ تَبَوَّجُ

فأنت ترى فى هذه القصيدة الطويلة أن ابن الرومى عرض نفسه لانتقام بنى العباس ومن مالأهم من أمراء ووزراء وقواد ، لم يخش صاحبنا بطشهم ولا كيدهم وراح يعرض بآل العباس تعريضا شديدا ، وينذرهم عاقبة البغى والعدوان بقيام رجل من آل البيت على رأس جيش

قوى ، يستطيع أن يدمر الخلافة العباسية تدميرا تاما وأن يحكم الناس بالعدل والإحسان ويقضى على الفحشاء والمنكر والبغى . وذكر أن هذه الثورة قد ظهرت بوادرها وأصبح زوال العباسيين قاب قوسين أو أدنى.

وقد تشيع ابن الرومى فى غير هذه القصيدة ، مما لا داعى لذكره . وقد كان صاحبنا معتدلا فى تشيعه فلن تجد له كلمة نابية فى حق أحد من الصحابة .

(٧) المفجع البصرى

هو محمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمفجَّع البصرى . ويكنى أبا عبد الله . قال ابن النديم فى كتاب الفهرست[١] إنه « لقى ثعلبا وأخذ عنه وعن غيره . وكان شاعرا شيعيا وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها عليا عليه السلام » وقال صاحب يتيمة الدهر « والمفجع البصرى صاحب ابن دريد والقائم مقامه فى التأليف والإملاء . حدث ابن نصر قال، حدثنى بعض المشايخ البصريين قال : كان المفجع وشمال يتهاجيان وكان شمال سنيا والمفجع شيعيا » ثم أورد الثعالبى مقطوعة للمفجع فى هجاء شمال أعرضت عن ذكرها لقبح ما فيها . وقد هجاه أحد الشعراء بقوله .

إن المفجـــع ويله ... شر الأوائل والأواخر
ومن النــوادر أنه ... يملى على الناس النوادر

وقد لقب بالمفجع لبيت قاله .

شاعريته : قال المرزبانى «هو شاعر مكثر عالم أديب » وقال الثعالبى « وأما شعره فقليل كثير الحلاوة يكاد يقطر منه ماء الظرف » وقال عنه

(١) ص ١٢٣ .

كذلك إنه « شاعر البصرة وأديبها . وكان يجلس فى الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات » .

مدحه لآل البيت : سمع المفجع حديثا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى محفل من أصحابه : إن تنظروا إلى آدم فى علمه ، ونوح فى همه ، وإبراهيم فى خلقه ، وموسى فى مناجاته ، وعيسى فى سنه ، ومحمد فى هديه وحلمه ، فانظروا إلى هذا المقبل » فتطاول الناس فإذا هو على بن أبى طالب . فأورد المفجع ذلك فى قصيدة وضمنها مناقب كثيرة تعزى إلى على . قال :

أيُّها اللائِمِي لِحُبِّي عَلِيًّا ... قُمْ ذَمِيما إلى الجَحِيمِ خَزِيَّا

أَبِخَيْرِ الأَنَامِ عَرَّضْتَ لا زِلْـ ... ـتَ مَذُودًا عن الهُدَى مَزْوِيَّا

أَشْبَهَ الأنبياءَ كهلاً وزَوْلاً ... وفَطِيماً ورَاضِعًا وغَذِيًّا

كان فى علْمِه كآدمَ إذ عُلْـ ... ـلِمَ شَرْحَ الأسماءِ والمَكْنِيَّا

وكنوحٍ نجى من الهَلاكِ من سُيـ ... ـيِرَ فى الفلكِ إذ عَلاَ الجُودِيَّا

وجَفا فى رِضا الإلهِ أباهُ ... واجْتَواهُ وعدَّه أَجْنَبِيًّا

كاعتزالِ الخليلِ آزرَ فى الـ ... ـلهِ وهِجرانِه أباهُ مَلِيًّا

ودعا قومَه فآمَن لوطٌ ... أقربُ الناسِ منه تَرَحُّمًا وَرِيَّا

وعليٌّ لما دَعاه أَخُوه ... سبقَ الحاضِرينَ والبَدَوِيَّا

وله من أَبِيهِ ذى الأَيْدِ إسما ... عيلَ شبهُ ما كان عَنِّى خَفِيَّا

إنَّه عاونَ الخليلَ على الكَعْـ ... ـبَةِ إذ شادَ رُكْنَها المبْنِيَّا

ولقد عاونَ الوصِيُّ حبيبَ الـ ... لّهِ إذ يَغسلانِ منها الصَّفِيَّا
أَمْ حَمَلَ النَّبيُّ كي يقطعَ الأصـ ... نامَ من سطحِها المثولَ الجُثِيَّا
فحناهُ ثقلُ النُّبوَّةِ حتى ... كادَ ينآدُ تحتَــــه مَثْنِيَّا
فارتقى منكبَ النبيِّ عليٌّ ... صِنْوُهُ ما أَجلَّ ذا المرقِيَّا
فأَماطَ اللثامَ عن ظاهرِ الكعـ ... بةِ ينفِي الرِّجاسَ عنها نَفِيَّا
ولو أن الوصِيَّ حاول مَسَّ النـ ... جمِ بالكفِّ لم يَجِدْهُ قَصِيَّا
أفهلْ تعرِفُونَ غـــيرَ عليٍّ ... وابنِه استرْحَلَ النبيّ مَطِيَّا

أورد ياقوت[1] هذه القصيدة وقال «وشعر المفجع كثير حسن».

* * *

وقد مدح بعض العلويين المعاصرين له بكثير من القصائد الجيدة نذكر منها قصيدته التي مدح بها أبا الحسن محمد بن عبدالوهاب الزينبي وهي:

للزينبيِّ على جَلالةِ قدرِه ... خُلُقٌ كطعمِ الماءِ غيرِ مُزَنَّدِ
وشهامةٌ تُقْصِي الليوث إذا سَطا ... ونَدًى يُغَرِّقُ كلَّ بَحْرٍ مُزْبِدِ
يحتَـــلُّ بَيْتًا في ذُؤَابَةِ هاشمٍ ... طالَتْ دَعائِمُه محلَّ الفرقدِ
حُرٌّ يَرُوحُ المُسْتَمِيحُ ويَغْتَدِي ... بمواهبٍ منه تَرُوحُ وتَغْتَدِي
فإذا تَخَيَّفَ ماله وعطاؤه ... في يومه بَهَكَ البَقِيَّةَ في غَدِ
بِضياءِ سُنَّتِهِ المكارِمُ تَهْتَدِي ... وبجود راحته السحائب تقتَدِي
مقـــدار ما بيني وما بين الغنى ... مقــــدارُ ما بيني وبين المِرْبَدِ

* * *

(١) معجم الأدباء جـ ١٧ / ٢٠٢ .

ولم يصل الينا من أخبار المُفَجَّع ما يفيد تعرضه للصحابة كما فعل غيره من شعراء الشيعة . والظاهر أنه لم يكن غاليا فى التشيع ولا مُحَقّقا . وقد ضاع شعره حتى لانكاد نعرف منه شيئا بسوى ماتقدم .

وفاته : وكانت وفاة المفجع البصرى فى سنة ٣٢٧ ﻫ

(٨) الشريف الرضى

هو أبو الحسن بن الطاهر أبى احمد الحسين ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب .

مولده : ولد الشريف الرضى عام ٣٦١ ﻫ وعاش خمسة واربعين عاما أدرك فى خلالها ثلاثة خلفاء من بنى العباس هم المطيع لله والطائع لله والقادر بالله وفى أيام هذا الخليفة توفى شاعرنا .

عصره : كان عصر الشريف الرضى عصر فتن واضطرابات ومعارك كثيرة تقع بين الأتراك والديلم فى بغداد كان يترتب عليها أن تسفك دماء ، وتخرب أحياء آهلة بالسكان ، ويتعرض الناس للهلاك ، وتنتشر اللصوصية ، وتصبح المحال التجارية عرضة للنهب والسلب ، والدور للحرق والتدمير ولم يكن للخليفة العباسى أى نفوذ خارج قصره . وقد أصبح الحكام الحقيقيون للعراق من آل بويه .

ثقافته وتهذيبه : بدأ الشريف الرضى ثقافته بأن قرأ القرآن على أبى اسحاق ابراهيم الطبرى وهو حدث . ثم أعاد حفظه بعد أن تخطى هذه السن . وكانت أمه تعنى بشؤون أبنائها عناية فائقة ، وتهتم بتثقيفهم وتهذيبهم منذ حداثتهم فقد روى ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة أنها

دخلت يوما المسجد إلى أبى عبدالله محمد بن النعمان الفقيه الإمامى وحولها جواريها وبين يديها ابناها الرضى والمرتضى فقام إليها وسلم فقالت : أيها الشيخ هذا ولداى قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه فتولى تعليمهما ، وذكر ابن جنى أن الشريف الرضى أحضر إلى ابن السيرافى النحوى المشهور فتلقى عنه علم النحو .

تصرفه وعمله : ولى الشريف الرضى نقابة الطالبيين وهى رياسة آل البيت العلوى والحكم فيهم أجمعين مستقلين عن طبقات الأمة الاسلامية. كان نقيباً فى بغداد أولا ثم جعله بنو بويه نقيبا للطالبيين فى بلاد فارس بأجمعها . وكان يضم إلى ذلك العمل النظر فى المظالم والحج بالناس .وهذه الأعمال كان يتولاها والده الطاهر ثم تنازل عنها لابنه الرضى ، لأن هذا كان يمنى نفسه بالخلافة ، وكان يفكر كثيراً فى سبيل تحقيق هذه الأمنية فخشى والده عليه شر العباسيين وبطشهم ، فأسند إليه هذه الأعمال ليشغله بها عن التفكير فى موضوع الخلافة ، وليسكن خاطره الثائر ويخفف من حدته وغليانه . قال فى ذلك :

وَلِيَ النقــابَةَ خالُ أمىِّ قبـــلُ ثم أَبِى وَجَدِّى
ووليتها طِفْلاً فهـــلْ مَجْدٌ يُعَدَّدُ مثلُ مَجْدِى

ولكنه برم بها فردها إلى والده الذى توفى عام ٤٠٠ هـ فاضطر صاحبنا إلى القيام بأعبائها وبقى كذلك حتى مات فى سنة ٤٠٦ هـ فتولاها من بعده أخوه المرتضى

وقد اتخذ الشريف المرتضى فى حياته داراً أسماها دار العلم ، وكان يجتمع بهذه الدار طلبة العلم الملازمون له .

وقد وضع كثيراً من الكتب والرسائل كما أنه بذل مجهودا كبيرا فى جمع ما حواه كتاب « نهج البلاغة »

مذهبه : كان الشريف الرضى يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية الذين يرون أن الخلافة فى أبناء الحسين .

آماله وأمانيه : كان الشريف الرضى يمنى نفسه بمنصب الخلافة ، فلم تهدأ له نفس ، ولم يسكن له خاطر ، ولم تصف له الحياة قط بل كان فى تفكير متواصل ، وهم وقلق وحزن شديد ، تارة يرى الأمل أمامه مقبلا وتارة يرى ظلمات اليأس مخيمة فى سماء تفكيره .

ومما شجع الشريف الرضى على الاسترسال فى آماله مارآه من ضعف الخلافة العباسية ضعفا تاما ، وما شاهده من انحلالها وذهاب نفوذها وسلطانها . ومما شجعه كذلك أن آل بويه كانوا من غلاة الشيعة الذين يدينون بالولاء لآل على . ويذكر المؤرخون أن الملوك البويهيين كانوا يحرضون النساء على الخروج وعمل المناحات والبكاء والعويل فى شوارع بغداد وطرقاتها فى مثل اليوم الذى قتل فيه الحسين من كل عام وكان الشريف الرضى يرى ذلك بعينى رأسه فيقوى أمله ويزداد تعلقه بالخلافة وجلالها . وكان له أنصار كثيرون منهم أبو اسحق الصابىء الذى كان يزعم أن طالع صاحبنا يدل على أنه سيرقى حتما إلى هذا المنصب الرفيع . وكانت تدور بينهما قصائد بهذا المعنى ، فمن ذلك قول إسحاق الصابىء وقد بعث بها إلى الشريف الرضى :

أبا حسنٍ لى فى الرِّجال فِراسةٌ تعوَّدْتُ منها أن تقولَ فتَصْدُقا
وقد خبرتنى عنك أنك ماجدٌ سترقى من العلياءِ أبعد مُرْتَقى
فوَفَّيْتكَ التعظيمَ قبلَ أوانِهِ وقُلْتُ أطالَ اللهُ للسَّيِّد البَقا
وأضمرت منه لفظةً لم أبُح بها إلى أن أرى إطلاقَها لى مطلقَا
فإن عِشْتُ أو إن مِتُّ فاذكر بشارَتى وأوجب بها حقاً عَلَيْكَ مُحَقَّقَا
وكنْ لِيَ فى الأولاد والأهل حافظاً إذاما اطمأن الجَنْبُ فى موضع البقَا

فأجابه الشريف الرضى بقوله :

سَننتَ لهذا الرُّمح غَرْباً مُذَلَّقا وأجْرَيتَ فى ذا الهُنْدُوانىّ رَوْنقَا
وَسَوَّمْتَ ذا الطرفَ الجوادَ وإنما شَرَعْتَ له نهجاً فَخَبَّ وأعنقَا
لئن بَرِقَتْ منى مَخايلُ عارضٍ لعينيك يقضى أن يجود ويغدقا
فليسَ بساقٍ قبلَ رَبعِك مرْبعا وليس براق قبل جُودِك مُرْتَقى

٭ ٭ ٭

ثم إن ملوك آل بويه كانوا يمنونه بها ويعدونه بقرب صيرورتها إليه فلا عجب أن سيطر عليه حلم الخلافة ، وملك عليه مشاعره وأصبح شبحها ماثلا أمامه فى القومة والقعدة ، والمنام واليقظة ، وفى كل مكان يذهب اليه قال :

أرى نفسى تَتوقُ إلى النُّجُوم سأحْمِلها على الخَطَرِ العظيم
ولى أمَلٌ كَصَدْرِ الرُّمْحِ ماض سِوى أن الليالِىَ من خُصُومِى
ومالى هِمَّةٌ إلا المعـــالى وذَبُّ الضَّيْم عَن نَسَبٍ صميم

٭ ٭ ٭

لماذا فشل ؟؟ : كان الشريف الرضى ينتظر من البويهيين أن يساعدوه فى الوصول إلى منصب الخلافة ، ولكن هؤلاء كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية . ومصلحتهم كانت تقضى بوجود خلافة اسمية لاحول لها ولا قوة ولا جاه ولا سلطان . وهذا كان متوفرا فى خلافة بنى العباس الذين كانوا يُوَلَّوْنَ بأمر البويهيين ولم يكن لهم من مظاهر الحكم غير ذكر أسمائهم فى الخطبة . وكان آل بويه يخشون قيام خلافة عربية قوية تقضى على حكمهم قضاء مبرما وتعيد مجد الامبراطورية الإسلامية كما كان أولا ، لذلك لم يجد صاحبنا منهم عونا . وقضى حياته يضاجع الأحلام

يأسه وحزنه : لما رأى الشريف الرضى هذا الفشل العظيم الذى لحقه وأدرك أن أمنيته لا تتحقق أخذ منه اليأس كل مأخذ فطفق يبكى وينوح ويندب آماله الضائعة ، قال :

وعدْتَ يا دهرُ شيئاً بتُّ أرقبه ... وما أرى منك إلا وَعدَ عُرْقُوب
وحاجــةً أتقَاضَاها وتمْطُلنى ... كأنَّها حاجةٌ فى نفس يَعْقُوب
لأُتعِبَنَّ على البيداءِ راحــلةً ... والليلُ بالريح خفاقُ الجلابيب

لقد أخذ اليأس يسرى فى الرجل ، وشاعت روح الكآبة والحزن فى شعره قال :

ما مقَامى على الهوانِ وعندى ... مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِىُّ
وإبَاءٌ مُحَلِّقٌ بى عن الضَّيْمِ ... كما رَاغَ طائِرٌ وَحْشِىُّ
أَىُّ عذرٍ له إلى المجدِ إن ... ذلَّ فى غِمدِه المَشْرَفىُّ
أحملُ الضيمَ فى بلادِ الأعادِى ... وبمصرَ الخليفــةُ العَلوِىُّ

من أبوه أبى ومولاه مولا ۞ ىَ إذا ضامَنِي البعيدُ القَصِىُّ
لَفَّ عِرْقِى بعرقِهِ ســـيدُ النَّا ۞ سِ جميعًا محمـــدٌ وعلِيٌّ
إن ذُلِّى بذَلِكَ الجوِّ عزٌّ ۞ وَأُوَامِي بذلِكَ النَّقْعِ رِىٌّ
قد يَذِلُّ العزيزُ مالم يُشَمِّر ۞ لانطِلاقٍ وقد يُضَام الأَبِىُّ
إنَّ شَرًّا على إسراعُ عزْمِي ۞ فى طلابِ العُلا وَحظِّى بَطِىٌّ
أَرْتَضِى بالأَذَى ولم يَقِفِ العزْ ۞ مُ قُصورًا ولم تَعزِ المطِىُّ
كالذى يَخْبِطُ الظَّلامَ وقد أَقْ ۞ مَرَ من خَلْفِه النهارُ المُضِىُّ

قيل إن هـذه الأبيات وصلت إلى يد الخليفة القادر بالله فغضب غضباً شديداً ، وعقد مجلسا وأحضر فيه أبا الطاهر الموسوى والد الشريف الرضى وابنه المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز لهم أبيات الشريف السالفة الذكر . وتقدم حاجب الخليفة وقال للنقيب أبى أحمد (والد الرضى) قل لولدك : محمد (الشريف الرضى) أى هوان قد أقام عليه عندنا ؟ ؟ وأى ذل أصابه فى ملكنا ؟ ؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟؟ أكان يصنع معه أكثر من صنيعنا ؟؟ ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم ؟؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحج ؟؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟؟ ما نظنه كان يكون — لو حصل عنده — إلا واحدا من أفناء الطالبيين ؟ ؟ فقال له النقيب أبو أحمد « أما هذا الشعر فما لم نسمعه ولا رأيناه بخطه . ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه وعزاه له » فقال القادر « إن كان كذلك فليكتب الآن محضر بذلك يشهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب

أبو أحمد (والد الشريف) وابنه المرتضى ، وكان هذا المحضر بمثابة إقرار يتضمن قدحا فى نسب العلويين حكام مصر فى ذلك الحين . وحمل إلى الرضى ليوقعه ، حمله إليه أبوه ، فامتنع ولكنه أنكر الشعر واعترف كتابة بأنه ليس بشعره ولا يعرفه .

شاعريته : امتاز الشريف الرضى بشاعرية قوية جداً تتدفق تدفق المحيط . فإذا انطلق لسانه بالرثاء أتى بالقصائد الطويلة التى تزيد على المائة بيت ومعظمها مما يسيل العبرات ، وإذا مدح أطال وأتى بما يرقص ممدوحيه وإذا افتخر أبدع وأجاد ، وأتى فى أبيات معدودة بما لا يتيسر لغيره أن يأتى به فى قصيدة طويلة .

* * *

التشيع فى شعره : ذكر الشريف الرضى كثيراً من مناقب على وآل بيته فى قصائد كثيرة ودافع عن حق العلويين فى الحكم . ورثى الحسين بجملة قصائد رائعة إلى أبعد حدود الروعة . ومن تلك القصائد قوله :

هذى المنازلُ بالغَميم فنادها ... واسْكُبْ سَخِيَّ العين بعد جمادها

إن كان دينٌ للمعـــالم فاقضه ... أو مهجة عند الطلول ففادها

يا هَلْ تَبُلُّ من الغليلِ إليهمُ ... إشْرافَةٌ لِلرَّكْبِ فَوْقَ نِجادِها

نُؤْيٌ كَمُنْعَطَفِ الحَنِيَّةِ دُنَه ... سُحْمُ الخدودِ لَهُنَّ إرثُ رَمَادِها

وَمَنَاطُ أطنابٍ ومَقْعَدُ فِتْيَةٍ ... تَخْبُو زناد الحىّ غَيْرَ زِنَادِها

ومَجَرُّ أَرْسَانِ الجيادِ لِغِلْمَةٍ ... سَحَبُوا البُيُوتَ بِشَقْرِها وَوِرَادِها

ولقد حَبَسْتُ على الديارِ عصابةً مضمومةَ الأَيْدِى إلى أَكْبادِها

حَسْرَى تُجاوِبُ بالبُكاءِ عيونُها وتَعُطُّ[1] بالزَّفَراتِ فى[2] أَبْرادِها

وَقفوا بها حتى كأنَّ مَطِيَّهم كانَتْ قوائِمُهنَّ من أَوْتادِها

ثم انْثَنَتْ والدَّمْعُ ماء مَزادِها ولواعِجُ الأَشْجانِ من أَزْوادِها

من كل مُشتَمِلٍ حمايلَ رنةٍ قطرُ المدامِعِ من حُلِيِّ نِجادِها

حيتْكَ بل حيتْ طُلولَكَ ديمةٌ يَشْفِى سَقِيمَ الرَّبْعِ نَفْثُ عِهادِها

وعدتْ عليكَ من الخمائِلِ بِمِنَّةٍ تَسْتام نافِقةً على رُوَّادِها

هل تَطلُبون من النواظِرِ بعدَكم شيْئًا سِوى عَبَراتِها وسُهادِها

لم يَبْقَ ذخرٌ للمُدافِعِ عنكمُ كلاَّ ولا عَيْنٌ جرى لِرُقادِها

شَغَلَ الدُّموعَ عن الديارِ بُكاؤُنا لِبُكاءِ فاطمةٍ على أَولادِها

لم يخلِفُوها فى الشَّهيدِ وقد رَأى دَمْعَ الفراتِ يُزَادُ عن أَوْرادِها

أَتَرى دَرَتْ أن الحُسَيْنَ طريدةٌ لِقَنَا بَنِى الطَّرْداءِ عندَ ولادِها

كانتْ مآتمُ بالعراقِ تَعُدُّها أُمَوِيَّةٌ بالشَّامِ من أَعْيادِها

ما رَاقَبَتْ غَضَبَ النبيِّ وقد غدا زرعُ النَّبِىِّ مَظَنَّةً لِحَصادِها

باعَتْ بصائِرَ دِينِها بِضَلالِها وشَرَتْ مَعاطِبَ غَيِّها بِرَشادِها

جعلَت رسولَ الله من خصمائِها فلبئسَ ما ذَخَرتْ ليومِ مَعادِها

نسلُ النبي على صعابِ مَطيِّها ودمُ النبي على رؤوسِ صِعادِها

والَهْفتاهُ لِعُصْبَةٍ عَلَوِيَّةٍ تَبِعَتْ أُمَيةَ بَعْدَ عِزِّ قِيادِها

---

(١) تشق . (٢) جمع برد .

جعلَت عُرانَ الذُّل فى آنافِها ... وعُلاطَ وَسْمِ الضَّيْمِ فى أَجْيَادِهَا

زَعمَتْ بأَنَّ الدينَ سوَّغَ قتْلَها ... أوَليسَ هذَا الدينُ عَنْ أَجْدَادِها

طلبت تراثَ الجاهليةِ عندَها ... وشَفَت قديمَ الغِلِّ من أَحقَادِها

واستأثَرتْ بالأَمرِ عن غيَّابِها ... وقَضَت بما شاءَت على شُهَّادِها

اللهُ سابِقُكم إلى أرْوَاحِهـــا ... وكسبتُم الآثامَ فى أَجْسادِها

إن قُوّضَتْ تلكَ القِبابُ فإنَّما ... خَرَّتْ عمادُ الدينِ قبلَ عِمادِها

إن الخلافَة أصبحتْ مَزْوِيَّةً ... عن شَعْبِها بِبَيَاضِها وسَوَادِها

طَمَستْ منابِرَها علوجُ أُمَيَّةٍ ... تنزو ذئابُهم على أَعْوَادِها

هى صفوةُ اللهِ التى أَوْحى بها ... وقَضَى أوامرَه إلى أَمْجادِها

أَخذَتْ بأَطرافِ الفَخَارِ فعاذِرٌ ... أن يُصبِحَ الثَّقَلانِ من حُسَّادِها

الزُّهْد والأحلامُ فى فُتَّاكِها ... والفَتْكُ لولا الله فى زُهَّادِها

عَصَبٌ يُقَمَّطُ بالنِّجادِ وليدُهَا ... ومهودُ صِبْيَتِها ظهورُ جِيَادِها

تَرْوى مناقِبَ فضْلِها أعداؤُها ... أَبدًا وتَسْنِدُه إلى أَضْـــدَادِها

يا غـــيرةَ اللهِ اغْضَبِى لِنَبِيه ... وتَزَحْزَحِى بالبِيض عن أَغْمادِها

من عُصْبَةٍ ضَاعت دماءُ محمدٍ ... وبَنِيه بين يَزِيدِها وزِيَادِها

صَفَدات مالِ اللهِ ملءُ أَكُفِّهَا ... وأَكُفُّ آلِ اللهِ فى أَصْفَادِها

ضَرَبُوا بِسيفِ محمـــدٍ أبناءَه ... ضربَ الغرائِب عُدْنَ بعد ذِيادِها

قِفْ بى ولَو لَوْثَ الأُزارِ فإنَّما ... هى مُهْجَةٌ عَلَق الجَوى بفؤادِها

بالطَّفِّ حيثُ غدَا مُراقُ دمائِها ... ومناخُ أَيْنُقِها لِيَوْم جِلادِها

القَفْر من أَرْوا قِها والطيرُ من ... طرَّاقِها والوَحْشُ من عُوَّادِها

تجرِى لها حَبَبُ الدُّمُوعِ وإنَّما ... حبُّ القُلُوبِ يكنّ من أَمْدادِها

يا يَوْمَ عاشُـورَاء كم لكَ لوعةٌ ... تترَقَّصُ الأَحْشَاءُ من إيقَادِها

ما عُدْتَ إلا عادَ قَلْبِي غُلَّةً ... حرَّى ولو بَالَغتُ فى إبرَادِها

يا جَدُّ لا زَالتْ كَتائِبُ حسرَةٍ ... تغْشَى الضميرَ بِكرِّها وطِرَادِها

أبدًا عليك وأدمعٌ مسفوحةٌ ... إن لم يُراوِحُها البكاءُ يُغادِها

هذا الثَّنَاءُ وما بَلَغْتُ وإنَّما ... هى حَلْبَةٌ خَلَعوا عَلَيْكَ جوادَها

أأقولُ جادَكُم الربيعُ وأنتُم ... فى كلِّ منزلةٍ ربيـــعُ بلادِها

أمْ أَسْتَزِيدُ لكم عُلاً بِمَنائِحِي ... أينَ الجِبَالُ من الرُّبَى وَوِهَادِها

كيفَ الثَّنَاءُ على النجومِ إذا سَمَتْ ... فوقَ العُيونِ إلى مَدَى أبْعَادِها

أَغْنَى طُلُوعُ الشَّمْسِ عن أَوْصَافِها ... بِجَلالِها وضِيَائِهَـــا وبِعَادِها

* * *

وفاته : كان للحقيقة المرة التى اصطدم بها الشريف الرضى ولخيبته وفشله فيما كان يسعى إليه أثر سيء فى نفسه وفى صحته ، فأخذ جسمه يذبل شيئاً فشيئاً ، وشرعت قواه فى التدهور والانحلال يوما بعد يوم . وسرعان ما اختطفته يد المنون وهو فى شرخ الصبا . لقد مات حزينا ساخطاً دهره ، ناقماً على الدنيا ومافيها ومن فيها . أدركته المنية فى يوم الأحد سادس المحرم سنة ٤٠٦هـ ببغداد فجزع أخوه المرتضى جزعا شديداً حتى أنه لم يشترك فى الصلاة عليه ولم يستطع حضور دفنه . وصلى عليه

الوزير فخر الملك وكثير من العظماء والنبلاء ودفن بداره بالكرخ ثم نقل إلى مشهد الحسين بكربلا حيث دفن بجوار قبر أبيه . وقد رثاه أخو المرتضى بقوله :

يا للرجالِ لفَجْعةٍ جذَمَتْ يَدى ... وَوَدِدْتُ لو ذَهَبَتْ عَلَّى براسى

ما زِلتُ أصدُر وردَها حتى أتَتْ ... فحَسَوْتُها فى بعض ماأنا حاسى

ومَطَلتها زَمَناً فلما صَمَّمَتْ ... لم يُثنها مَطْلِى وَطُولُ مِكاسى

لله عُمْرُكَ من قصيرٍ طاهرٍ ... ولَرُبَّ عُمرٍ طَالَ بالأرْجاسِ

ورثاه تلميذه مهيار الديلمى بأكثر من قصيدة ومن ذلك قوله :

بكر النعىُّ فقال : أرْدى خيرُها ... إن كان يَصْدُق فالرّضى هو الرَّدِى

عادت أراكة هاشمٍ من بَعْدِه ... خَوَراً لفأس الحاطِب المتوقدِ

فُجعتْ بمُعجِزِ آيةٍ مَشهُودةٍ ... ولَرُبَّ آياتٍ لها لم تُشْهَدِ

كانت إذا هى فى الإمَامةِ نوزِعَتْ ... ثم ادَّعَتْ بك حقَّها لم تُجْحَدِ

تبعَتْكَ عاقِدَةً عليكَ أمورَها ... وعُرَى تميمِك بعدُ لمَّا تعْقَدِ

ورآك طفلاً شيبُها وكهولُها ... فتزَحْزَحُوا لك عن مكان السَّيِّدِ

أنفقْتَ عمرَك ضائعاً فى حِفظِها ... وَعَقَقْتَ عيشَك فى صَلاحِ المُفسِدِ

كالنَّارِ للسارى الهدايةُ والقِرى ... من ضوئِها ودُخَانُها المُوقِدِ

(٩) مهيار الديلمى

هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور . قال ابن خِلّكان «كان مجوسيا فأسلم ، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسين محمد الموسوى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر»

علاقته بالشريف الرضى : كان مهيار يحضر دروس العلم التى كان يعقدها الشريف الرضى لكثير من الشبان فتيسر له أن يلم بقسط وافر من الأدب نظمه ونثره . وقد نشأت بين الأستاذ وتلميذه علاقة ود أخذت تقوى يوما بعد يوم ، حتى أن مهيار كان يُعلق كثيراً من الآمال على أستاذه . ولما مات الشريف الرضى رثاه مهيار طويلا .

إسلامه وتشيعه : وكان من أثر العلاقات القوية بين الشريف الرضى ومهيار أن استطاع الأستاذ أن يحبب إلى تلميذه الدين الإسلامى ، فكان إسلام مهيار على يد أستاذه .

أما تشيعه فقد بدا منه قبل أن يتخذ الإسلام دينا . وقد مدح الطالبيين ورثى عليا والحسين حينما كان على دين المجوسية ، فمن ذلك قوله

نَقَضْتُمْ عُهودَه فى أَهْلِهِ   وحُلْتم عن سَنَنِ المراسِمِ
وقد شَهِدتم مقْتَلَ ابن عمِّه   خيرِ مُصلٍّ بَعدَه وصائِمِ
وما استَحَلَّ باغِياً أَمامكم   يزيدُ بالطَّفِّ من ابن فاطِمِ

ولما أسلم غلا فى تشيعه غلوّاً كبيرا وأفرط فى سب الخلفاء الأول

إفراطاً ألحقه بالسيد الحميرى وقد وصل إلينا شعر مهيار كاملا فرأينا ما جرى على لسانه من طعن ولعن . ومن ذلك قوله :

هذى قضايا رسولِ اللهِ مُهمَلةٌ ... غدراً وشملُ رسولِ اللهِ منْصَدِعُ
والناسُ للعهدِ مالاقُوا وماقَرَبوا ... وللخيانةِ ما غَابُوا وما شَسَعُوا
وآله وهُمُ آلُ الإلهِ وهمْ ... رعاةُ ذا الدينِ ضيمُوا بعده ورُعُوا
ميثاقُه فيهمُ مُلقًى وأُمَّتُه ... مع من بَغاهُم وعَادَاهُم لهُ شِيَعُ
تُضَاع بَيْعَتُه يومَ الغديرِ لهم ... بعد الرِّضا وتُحاط الرُّومُ والبِيَعُ
مُقْسِمينَ بأَيمانٍ هم جَـــذَبُوا ... بيُوعها وبأَسيافٍ همُ طَبعُوا
مابينَ ناشرِ حبلٍ أمس أبرَمَه ... تُعد مسنونةً من بعدِه البدعُ
وبين مُقْتَنِصٍ بالمكرِ يخدَعُه ... عن آجلٍ عاجلٌ حُلْوٌ فينخدِعُ
وقائل لى عليٌّ كانَ وارثَهُ ... بالنصِّ منه فهل أعطَوْهُ أم مَنَعُوا
فقلتُ كانت هناتٌ لستُ أذكُرُهَا ... يجزى بها اللهُ أقواماً بما صَنَعُوا
أبلغْ رجالاً إذا سَمَّيتُهُمْ عرفُوا ... لهم وجوهٌ من الشحناء تُمتَقِعُ
توافَقوا وقناة الدينِ مائلةٌ ... فحينَ قامتْ تلاحَوْا فيه واقترَعُوا
أطاعَ أولهُمْ فى الغدر ثانيهم ... وجاء ثالِثُهم يقفُو ويَتَّبِعُ
قِفُوا على نظرٍ فى الحقِّ نَفرِضُه ... والعقلُ يفضلُ والمحجوجُ ينقَطِعُ
بأىِّ حكمٍ بَنُوه يتبعُونَـــكُم ... وفخرُكم أنَّـــكم صحبٌ له تَبَعُ
وكيفَ ضاقتْ على الأهلين قُرْبَتُهُ ... وللأَجانبِ من جَنْبَيْهِ مُضْطَجعُ
وفيمَ صيَّرتُمُ الإجماعَ حُجَّتَــكم ... والنَّاسُ مااتَّفَقُوا طوعاً ولا اجْتَمَعوا

أمرُ عليٍّ بعيدٌ من مشورَتهِ مستكرهٌ فيــه والعباسُ يَمتَنِع
وتدَّعيهِ قريشٌ بالقرابة والا أنصارُ لا رُفُعٌ فيــه ولا وُضُعُ
فأَىُّ خُلْفٍ كَخُلْفٍ كان بينكم لولا تُلَفِّقُ أخبارٌ وَتُصْطَنَعُ

ومنها :

إنكارُهم يا أمير المؤمنين لهــا بعد اعترافِهمُ عارٌ به ادَّرَعُوا
ونكثهم بكَ مَيْلاً عن وَصِيَّتِهم شَرْعٌ لعمركَ ثانٍ بعدَه شَرَعُوا
تركت أمرا ولو طالَبْتَهُ لَدَرت مَعاطسٌ راغمته كيف تجتدعُ
لَيُشْرِقَنَّ بحــلو اليوم مرُّ غدٍ إذا حصدتَ لهم فى الحشر مازَرَعُوا

فمهيـار فى هذه القصيدة قد تعصب لعلى وذهب إلى أبعد حدود التعصب فطعن فى الإجماع وأنكر صحته . وذكر أن النبي عهد إلى على بالأمر يوم غديرخُم وقد مر بنا ذكر ذلك وأن الصحابة غدروا وعصوا الرسول واغتصبوا حق على فأطاع أبو بكر فى الغدر عمر ، ثم جاء عثمان يمشى على آثارهم . وهؤلاء كما يقول مهيار سيحملون وزرهم يوم القيامة وسيحـاسبون على ما أتوا حسابا عسيرا . قيل له : يا مهيار ، انتقلت بإسلامك فى النار من زاوية إلى زاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قيل : لأنك كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة .

* * *

وقد رثى مهيار الحسين بجملة قصائد ومدح عليا وسرد كثيراً من مناقبه فى شعر بديع ، ودافع عن حقوقه فى الخلافة دفاعا حارا مؤثرا ومثال ذلك قوله فى مدح آل البيت .

لئن نامَ دهرى دون المنى وأصبحَ عن نَيْلِها مُقعدِى
ولم آكُ أحمد أفعالَه فلى أسوةٌ ببنى أحمدِ
بخيرِ الورى وبنى خيرِهِم إذا ولدُ الخير لم يولدِ
وأكرم حى على الأرض قام وميت توسد فى ملحدِ
وبيت تقاصر عنه البيوت وطال عليا على الفرقدِ
تحوم الملائك من حوله ويصبح للوحى دار الندِى
ألا سَل قريشا ولم مِنهمُ من استَوْجَبَ اللومَ أو فندِ
وقل: مالكم بعد طُولِ الضَّلاَ لِ لم تَشكُرُوا نِعمةَ المُرْشدِ
أتاكُم على فترةٍ فاستقامَ بكم جائِرينَ عن المَقصدِ
وولَّى حميدا إلى ربِّه ومن سنَّ ماسَنَّهُ يُحمدِ
وقد جعلَ الأمرَ من بعدِه لِحَيْدَرَ بالخبرِ المُسْنَدِ
وسماه مولًى بإقرارِ مَنْ لو اتَّبَعَ الحقَّ لم يَجْحَدِ
فملتم بها حَسَدَ الفضلِ عنه ومن يَكُ خيرَ الورَى يُحسَدِ
وقلتم بذاك قضى الاجتماعُ ألا إنَّما الحقُّ لِلْمفرَدِ
يَعزُّ على هاشِمٍ والنبيِّ تلاعُبُ تيمٍ بها أوعدِى
وإرثُ عليٍّ لأولادِه إذَا آيةُ الإرثِ لم تُفسَدِ
فمن قاعدٍ منهمُ خائفٍ ومن ثائرٍ قام لم يُسْعَدِ
تسلَّطُ بغْيا أكفُّ النِّفَا قِ منهم على سيِّدٍ سيِّدِ

وما صُرِفوا عن مُقَامِ الصلاة ولا عنِّفوا فی بنی[1] المسجد

أبوهُم وأُمهم من علِمْـــ ـتَ فانقصْ مفاخرَهم أَوزِدِ

أَرَى من بعدِ يوم الحسين عليلاً له الموتُ بالمرصد

وما الشِّرك لله من قبلِه إذا أنت قِست بمُسْتَبْعَدِ

وما آلُ حربٍ جَنَوا إنَّما أعادوا الضَّلاَلَ على من بدى

ســـيعلمُ من فاطمٌ خصمُه بأىِّ نـــكالٍ غدا يرتدى

ومن ساءَ أحمـــدَ ياسبطَه فباء بقَتْلِك ماذَا يدى ؟

فِداؤُك نفسى ومَن لى بذا ك لو أنَّ مولًى بعبدٍ فُدِى

أنا العبـــدُ والاكُم عقده إذا القلبُ بالقلب لم يُعقد

وفيكم وِدادى ودِينى معاً وإنْ كانَ فى فارسٍ مولِدى

خصمت ضلالى بكم فاهتديتُ ولولاكم لم أكُنْ أهْتدِى

وهكذا ترى أن مهيار يضمن كل ماقاله فى آل البيت كثيراً من المطاعن والشتائم فى بعض الصحابة ولن تجد له قصيدة واحدة مما نظمه فى هذا الباب خلت من هجوم عنيف على الشيخين .

وفاته : توفى مهيار فى سنة ٤٢٨ ﻫ

---

(١) جمع بنية

★

(١٠) ابن هانىء الأندلسى

هو محمد بن هانىء بن محمد بن سعدون الأندلسى . يكنى أبا القاسم أو أبا الحسن . وقيل له ابن هانىء الأندلسى تمييزا له عن ابن هانىء الحكمى الشهير بأبى نواس .

مولده : ولد باشبيلية فى سنة ٣٢٠ هـ

شاعريته : قال ابن خلكان : « هو أشعر شعراء المغرب على الإطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولأجل ذلك يقال له متنبىء الغرب »

وقال الفتح بن خاقان : « هو علق خطير ، وروض أدب مطير ، غاص فى طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون ، وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون . وله نظم تمنى الثريا أن تتوج به وتقلد ، ويود البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولد . »

تشيعه : رحل ابن هانىء من الاندلس إلى شمال إفريقيا ومدح المعز وأصبح من خواصه المربين إليه . وقد ارتفعت مكانته فى عين الخليفة الفاطمى وعلت منزلته فأجله واحترمه ومنحه جزيل العطاء

ويعتبر شعر ابن هانىء سجلا لمعتقدات الفاطميين وآرائهم ومذاهبم ومثال ذلك قوله :

أنت الوَرَى فاعمر حَياةَ الورَى ... بِاسمٍ من الدَّعْوَةِ مُشْتَقٌ

فالشيعة يعتقدون أن الإمام يقوم مقام النبى فى دعوة الناس إلى الحق . والذى يقبل الدعوة يسمى المستجيب .

وقوله :

سَقَيْتَ فلا لُبَّ اللبيبِ مُعَطَّشٌ   لَديك ولا كافُورَةُ العَهْدِ تَسْنَخُ

والمستجيب لا يدخل فى الدعوة إلا إذا أخذ عليه العهد والميثاق .

وقوله :

قد كان يُنْذِرُ بالوعيدِ لطولِ ما   أَصْغَى إِلَيْكَ ويعلَمُ التَّأْوِيلاَ

فالشيعة يعتقدون بأن أيات القرآن تحتوى على معانى خفية لا يدرك كنهها إلا الإمام الذى تلقى علمها عمن سبقه من الأئمة . وقد كرر ابن هانى هذا الاعتقاد فى موضع آخر فقال .

أهْلُ النُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ والهدَى   فى البَيِّنَاتِ وسَــادَةٌ أطهارُ

والوحيِ والتأويلِ والتحليلِ والتـ   ـحريمِ لا خُلْفٌ ولا إنْكارُ

وقال :

ماذَا تُريدُ من الكِتابِ نواصِبٌ   وله ظُهورٌ دُونَها وبُطُون

فالشيعة يرون أن لكل ظاهر باطنا خفى عن الناس لأن عقولهم لا تستطيع إدراك علم الباطن الذى هو سر الله المصون الذى يجب أن يظل مكتوما عمن لا يستحقه . قال .

إذا كانت الألباب يقصر شأوها   فظلم لسر الله إن لم يُكتَّمِ

والشيعة يعتقدون بالوصِيِّ الذى وصاه النبي بالقيام بالأمر من بعده وفى ذلك يقول ابن هانىء .

تؤم وصيَّ الأوصياء ودونه   صدور القنا والمرهفات البواتك

ووجود الإمام ضرورى فى نظر الشيعة من ثلاثة أوجه أولها أن

الله لما أرسل رسوله إلى الناس ليهديهم إلى صراطه المستقيم ، لزم أن يكون فى كل زمان من يقوم بوظيفة النبي من هداية الخلق ونشر الأمن والعدل . وثانيها أن لغات الناس متفرقة فلا يفهم بعضهم لغة البعض ، فوجود الإمام ضرورى ليفهم الناس شؤون دينهم كلٌّ بلسانه ولغته . وثالثها أن الله كما خلق الجبال وجعلها أوتادا تمسك الأرض أن تميد بمن عليها ، كذلك جعل الأئمة أوتادا للدين حتى لا يزول . وفى هذا ترى ابن هانئ يقول .

إذا كان أمنٌ يَشملُ الأرضَ كلَّها ... فلا بُدَّ فيها من دليـــلٍ مُقَدَّمِ

إذا كان تفريقُ اللُّغَاتِ لِعلَّةٍ ... فلا بُد فيها من وَسِيطٍ مُتَرْجِمِ

وآيةُ هذا أَنَّ حَى اللهُ أَرْضَه ... ولكنها لم تَرْسُ من غير مَعْلَمِ

ويقول فى قصيدة أخرى .

لولاكَ لم يكنِ التَّفَكُّرُ واعِظًا ... والعقلُ رشدا والقياسُ دليلاً

لو لم تكنْ سَكَنَ البلادِ تَضَعْضَعَتْ ... وتَزَايَلَتْ أركانُهـــا تَزْيِيلاَ

ومن مبادئ الشيعة أن الإمام لا يقوم إلا بالنص ممن قبله كما لا يجوز قيام النبي إلا بإذن من الله . قال ابن هانئ .

وما ذاك أَخذًا بالفِراسةِ وحدَها ... ولا أَنَّه فِيها من الظَّنِّ مُضْطَرْ

ولكن موجودا من الأثَرِ الذى ... تَلَقَّاهُ عن حبرٍ ضنينٍ به حبرُ

ويرى الشيعة أن الإمام هو سبب وجود الدنيا بجميع ما فيها وهو علتها ولولاه لما كانت أرض ولا سماء ولا شمس ولا قمر . قال ابن هانئ .

هو عِلَّةُ الدنيا ومن خلِقَتْ له ... ولِعِـــلَّةٍ ما كانت الأَشْيَاء

وقال :

هذا ضَميرُ النَّشْأَةِ الأولى التى   بدأَ الإلهُ وغَيبُها المكْنُونُ

من أجلِ هذا قُدِّر المَقْدورُ فى   أُمِّ الكِتابِ وكُوِّنَ التكوينُ

والإمام عند الشيعة من أكمل مخلوقات العالم جسدا وروحا وهو جامع لكل الفضائل والخيرات وجسده برىء من كل عيب وروحه سالم من كل نقصان . قال ابن هانىء .

فرغَ الإلهُ له بِكلِّ فَضيــلةٍ   أيامَ آيات الكتابِ تُفَصَّلُ

وقال :

وروح هُدًى فى جِسم نورٍ يَمُدُّه   شُعَاعٌ من الأَعْلَى الذى لم يُجَسَّم

والإمام عندهم متصف بكل صفة يتصف بها النبي من كونه أمين الله وهادى الخلق ووارث الأرض وشفيع الناس . فالإمام متصف بكل هذه الصفات . قال ابن هانىء .

هذا أمينُ اللهِ بين عبــادِه   وبلادِه إن عُــدَّت الأُمَناءُ

هو الوارِث الأرضَ عن أبوين   أبٌ مصطفى وأبٌ مُرْتَضى

وقال :

لله من سَببٍ باللهِ متصــل   وظِلٍّ عدلٍ على الآفاق مَمدود

وقال :

هذا الشفيعُ لأُمــةٍ يأْتِي بها   وجُدُودُه لجدودها شُفَعَاءُ

وهو معصوم مثل النبي لا يصدر منه خطأ ولا تبدو منه زلة لأنه ملهم من الله بأعظم درجات الإلهام ومؤيد منه بأكبر حدود التأييد

وهو مؤتمن على هداية الخلق بعد الرسول . قال صاحبنا .

من كان سيما القُدْسِ فوقَ جَبينِه   فأَنا الضَّمِينُ بأَنّهُ لا يَجْهَلُ

وقال :

مُؤَيَّدٌ باختيـــارِ اللهِ يَصْحَبُه   ولَيْسَ فيما أَراهُ اللهُ من خَلَلِ

ومعرفة الإمام عند الشيعة واجبة على الجميع لحديث يروونه عن النبي وهو « من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية » وكذلك ولايته واجبة عليهم . فلا نجاة لأحد من الناس إلا إذا عرف الإمام وخضع لحكمه خضوعا تاما ومنحه ولاءه وإخلاصه . وقد أتى ابن هانىء بهذا فى شعره حيث يقول .

لِيَعْرِفْكَ من أَنْتَ مَنْجَاتُه   إذا ما اتقى اللهَ حقَّ التُّقَى

* * *

فَرضانِ من صومٍ وشُكرِ خليفةٍ   هذا بهذا عندنَا مَقْرُونُ

* * *

لو لَمْ تكنْ سَببَ النجاةِ لأَهْلها   لم يُغْنِ إيمانُ العبادِ فَتيلا

* * *

لئن كان لى عن وُدِّكم مُتَأخرٌ   فمالِىَ فى التوحيد من مُتَقَدَّمِ

* * *

والإمام كما يرون مظهر نور الله الذى ينتقل من إمام إلى إمام فالله يتجلى بنوره فى شخص الإمام . فإذا علمنا هذا استطعنا أن نفهم بسهولة قول ابن هانىء

وما كُنْهُ هذا النور نورُ جَبينِهِ   ولـكنَّ نورَ اللهِ فيه مُشَـارِكُ

وبدا تَلَقَّى آدمٌ من ربِّه عفْواً وفَاء ليونُسَ اليَقْطِينْ

* * *

مِنْ شُعلةِ القَبَسِ التى عرضت على موسى وقد حارتْ به الظَّلْمَاء

* * *

ولقد بَراكَ فكُنْتَ موثِقَهُ الذى أخذ الكتابَ وعهدَه المسؤولا

* * *

فالشيعة يقولون إن محمداً والأئمة من ذريته أفضل جميع البشر وإن نورهم خلق قبل أن يوجد العالم وحيث إن نور الله أزلى ينتقل من إمام إلى إمام حتى اتصل بالمعز ، فنور المعز هو النور الذى توسل به هؤلاء الأنبياء فاستجاب الله به دعاءهم .

* * *

وهكذا سار ابن هانىء فى شعره على هذه الوتيرة ، فلا عجب أن كان لشعره طابع خاص ميزه عن غيره من شعراء الشيعة . فهو لم يرث الحسين ولم يذكر عليا ولا مناقبه ، ولم يقصر شعره على هجاء الأمويين والعباسيين ، ولم يتعرض للشيخين بطعن ولا سب ، إنما وقف شعره على نشر الدعوة للخلافة الفاطمية وبث مبادىء العبيديين ، وقد كان هذا من الأمور الطبعية لأن هذه الدولة الجديدة الناشئة أضحت فى حاجة إلى تثبيت دعائمها وتقوية مركزها ، بعد أن أصبح الأمر بيد خلفائها . وليس أقوى من الشعراء فى هذا المضمار ولا أقدر منهم . وقد وجد المعز فى ابن هانىء خير نصير ومعين على نشر الدعوة الفاطمية وقد قيل إنه حزن حزنا شديدا لما سمع بوفاته .

مدحه للمعز

وقد مدح ابن هانىء الأندلسى المعز لدين الله الفاطمى بقصائد كثيرة أظهر فيها قوة ومتانة ، ووفق فيها إلى أقصى درجات التوفيق . ومثال ذلك قوله من قصيدة :

وطفِقْت أسألُ عن أغرَّ مُحَجَّل ... فإذَا الأنامُ جِبلَّةٌ دَهماء
حتى دُفعتُ إلى المعزِّ خليفةً ... فعلمتُ أن المطلبَ الخلفاء
جودٌ كأن أليَمَّ فيه نفاثةٌ ... وكأنَّما الدُّنيا عليه غُثَاء
ملِكٌ إذا نَطَقتْ عُلاه بمدحه ... خِرسَ الوفودُ وأفحم الخطباء
هو عِلةُ الدنيا ومن خُلِقَتْ له ... ولعلَّةٍ ماكانت الأشياء
من صفو ماء الوحْي وهو مُجَاجَةٌ ... من حوضه الينبوعُ وهو شفاء
من أيكةِ الفردَوْسِ حيث تفتَّقتْ ... ثمراتُها وتفيَّأَ الأَفْياء
من شُعلةِ القبسِ التى عُرِضت على ... موسى وقد حارتْ به الظلْماء
من معدِن التقديسِ وهو سُلالةٌ ... من جوهرِ الملكوتِ وهو ضياء
من حيثُ يُقتبسُ النهارُ لمبصرٍ ... وتُشَقُّ عن مكنونِها الأنْباء
فَتيقَّظوا من غفلةٍ وَتَنَبَّهوا ... ما بالصباحِ عن العيونِ خفاء
ليست سماءُ اللهِ ماترأوْنَها ... لكن أرضاً تحتويهِ . سَمَاء
أما كواكِبُها له فخواضعٌ ... تُخْفِي السجودَ وَيظْهرُ الايماء
والشمس ترجعُ عن سَناهُ جفونها ... فكأنها مَطروقةٌ مَرْهَاء

هذا الشفيعُ لأُمّةٍ يأتى بها   وجدودُه لجدودِها شُفعاءُ

هذا أمينُ الله بين عبادِه   وبلادِه إن عُدّتِ الأمناءُ

هذا الذى عَطفتْ عليهِ مكةٌ   وشعابُها والركنُ والبَطحاءُ

هذا الأغرُّ الأزهرُ المتألقُ الْمُ   تَدفّقُ المتبلّجُ الوَضّاءُ

فعليهِ من سيما النبيِّ دلالةٌ   وعليهِ من نورِ الإلهِ بهاءُ

ورثَ المقيمَ بيثْربٍ فالمنبرُ الأ   عْلَى له والتُّرْعةُ العَلياءُ

والخطبَةُ الزهراءُ فيهاالحكمةُ ال   غرّاءُ فيها الحجّةُ البيْضاءُ

للناسِ إجماعٌ على تفضيلهِ   حتى اسْتوى اللّؤماءُ والكرماءُ

واللكنُ والفُصَحاءُ والبُعَداءُ وال   قُربَاءُ والخُصَماءُ والشّهَداءُ

ضَرّابُ هَامِ الرومِ منتقماً وفى   أعناقِهم من جودِه أعباءُ

تَجرِى أياديهِ التى أولاهُمُ   فكأنّها بينَ الدماءِ دِماءُ

لولا انبعاثُ السيفِ وهو مُسَلّطٌ   فى قتلِهمُ قتلَتْهمُ الأنْباءُ

كانت ملوكُ الأعجمينَ أعِزةً   فأذَلّها ذُو العِزّةِ الأبّاءُ

لن تَصغرَ العظماءُ فى سلطانِهم   إلا إذا دَلَفتْ لها العُظماءُ

جهلَ البطارقُ أنه الملكُ الذى   أوصى البنينَ بِسلْمِه الآباءُ

حتى رأى جُهالُهم من عزمه   غِبَّ الذى شَهدتْ به العُلَماءُ

فتقاصروا من بعد ما حكم الرّدى   ومضى الوعيدُ وشُبّت الهيْجاءُ

والسيلُ ليسَ يَحيدُ عن مُسْتَنّهِ   والسهمُ لا يُدْلِى به غُلَواءُ

لم يُشرِكوا فى أنه خيرُ الورَى   ولذِى البريةِ عندهُم شُرَكاءُ

وإذا أَقَرَّ المشرِكون بفَضْلِهِ قسْرًا فما أدراكَ ما الحُنَفَاءُ

فى اللهِ يسرى جُوده وجنودُه وعـدِيدُه والعزمُ والآراءُ

أَوَما تَرى دولَ الملوكِ تُطيعُه فكأنَّها خَولٌ له وإماءُ

نزلتْ ملائكةُ السماءِ بنصْرِه وأَطاعَه الإصباحُ والإمساءُ

والفلْكُ والفَلَكُ المُدار وسَعْدُه والغزْو فى الدَّاماءِ والدَّاماءُ

والدهرُ والأيامُ فى تَصْرِيفها والناسُ والخضراءُ والغبراءُ

أين المفرُّ ولا مَفرَّ لها ربٍ ولك البَسيطان الثَّرى والماءُ

ولكَ الجوارِى المنشآتُ مَواخِرًا تجرى بأمرِكَ والرياحُ رُخاءُ

والحاملاتُ وكلها محمولةٌ والناتِجاتُ وكلها عذراءُ

والأعوَجِيَّاتُ التى إن سُوبِقَتْ سَبَقَتْ وَجَرْىُ المُذْكياتُ غِلاءُ

الطائراتُ السابحاتُ السَّابقاتُ الناجياتُ إذا استُحِثَّ نَجاءُ

فالبأْسُ فى حَمْسِ الوَغى لِكُماتِها والكِبرياءُ لهن والخُيَلاءُ

لا يُصْدِرون نحورَها يوم الوَغى إلاَّ كما صَبغَ الخُدودَ حَياءُ

شُمُّ العَوالِى والأُنوفِ تَبَسَّمُوا تحتَ القُنُوسِ فأَظلَموا وأَضاءوا

لبسوا الحديدَ على الحديدِ مظاهَرًا حتى اليَلامِقُ والدُّرُوعُ سَواءُ

وتَقَنَّعُوا الفولاذَ حتى المُقلةُ النجلاءُ فيها المُقلَةُ الخوصاءُ

فكأَنَّما فوقَ الأَكُفِّ بوارِقٌ وكأنما فوقَ المُتونِ إضاءُ

من كلِّ مَسْرُودِ الدخارص فوقَه حُبُكٌ ومصقولٍ عليهِ هباءُ

وتعانَقُوا حتى رُدَيْنِيَّاتهم عَطْشى وبِيضُهُمُ الرِّقاقُ رِواءُ

أعززْتَ دينَ اللهِ يا ابنَ نَبيِّهِ فاليومَ فيهِ تخمُّطٌ وإباءُ
فأقلُّ حظِّ العُرْبِ منك سَعادَةٌ وأقلُّ حَظِّ الرومِ منكَ شَقاءُ
فإذا بعثتَ الجيشَ فهو منية وإذا رأيتَ الرأى فهو قضاءُ
يكسو نداكَ الروضَ قبلَ أوانهِ وتَحيد عنكَ اللَّزْبَةُ اللَّاواءُ
وصفات ذاتِك منك يأخُذُها الوَرَى فى المكرُماتِ فكلُّها أسماءُ
قد جالَتْ الأوهامُ فيك فدقَّت الـ أفكار عنك فَجَلَّتِ الآلاءُ
فعَنَتْ لك الأبصارُ وانْقادَتْ لك الـ أقْدارُ واسْتَحْيَتْ لك الأنواءُ
وتَجَمَّعَتْ فيك القلوبُ على الرِّضَى وتشَيَّعَتْ فى حُبِّك الأَهْواءُ
أنت الذى فصلَ الخطابَ وإنَّما بك حُكِّمَتْ فى مَدحِك الشُّعَراءُ
وأخصُّ منزلةً من الشعراءِ فى أمثالِها المضروبةِ الحكماءُ
أخذوا الكلامَ كثيرهُ وقليلَه قسمين ذا داءٌ وذاكَ دواءُ
دانُوا بأن مديحَهم لك طاعةٌ فرض فليس لهم عليكَ جزاءُ
فاسلم إذا رابَ البريةَ حادثٌ واخلدْ إذا عَمَّ النفوسَ فَناءُ
فيه تَنَزَّلَ كلُّ وحيٍ مُنْزَلٍ فلأهلِ بيتِ الوحيِ فيه ثَناءُ
فتطول فيه أكُفُّ آل محمدٍ وتُغَلُّ فيه عن النَّدى الطُّلقاءُ
مازلتَ تقْضى فرضَه وأمامه وَوَراءه لَكَ نائِلٌ وحِباءُ
حسبى بمدْحِكِ فيه ذُخْراً للوَرَى للنُّسْك عند الناسِكين كِفَاءُ
هيهاتَ منا شُكر مَاتُولى ولو شكرْتكَ قبلَ الألسنِ الأعضاءُ
واللهُ فى عَلْيَاكَ أصدقُ قائل فكأنَّ كل قول القائِلينَ هذاءُ
لا تسألَنَّ عن الزمانِ فإنَّه فى راحَتَيْكَ يدورُ كيف تشاء

ومدائح ابن هانىء كلها على هذا النحو . وقد كرر كثيرا من المعانى فى قصائد مختلفة وردد ما أتى به هنا من الآراء والمبادىء فى غير هذه القصيدة .

وفاته : توفى ابن هانىء فى عام ٣٦٢ ﻫ وعمره ست وثلاثون سنة . وجد مقتولا وقد اختلف فى سبب قتله .

(انتهى)

فهرس

صفحة



رقم الإيداع ١٠٦١١ / ٩٤

الترقيم الدولى 977 - 5383 - 10 - 2




دار العرب
للبستاني